

عنوان المذكرة:

البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني 1518-1830

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إشراف الأستاذ الدكتور :

أ د عبد الله مقلاتي

من إعداد الطالبة:

آسية بن شيبان

الصفة	الجامعة	الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	عمر بوضرية
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	عبد الله مقلاتي
مناقشا	جامعة المسيلة	مصطفى عبيد

السنة الجامعية: 2018 - 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشكر والتقدير

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه المستحق الثناء لسعة كرمه ومدى توفيقه وعظيم رضاه، المسير الأحوال والموفق الأمور، لأمر بالعلم والناهي عن الجهل، والصلاة والسلام على رسول الختام، خاتم النبيين والصديقين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه من التابعين أجمعين.

أتوجه بالشكر والتقدير والاعتراف بالجميل لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل العلمي المتواضع واخراجه إلى حيز الوجود، ونخص بالذكر الأستاذ الدكتور "مقلاتي عبد الله" الذي قبل لإشراف على المذكرة، وخصنا بإرشاداته وتوجيهاته ونصائحه القيمة، التي كان لها الأثر الطيب على أنفسنا وعلى تنفيذ هذا العمل وإتمامه.

له جزيل الشكر والعرفان على حسن المعاملة والإشراف، ونقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الحوت في البحر والطير في السماء ليصلون على معلم الناس الخير"

مقدمة

مقدمة:

تعتبر مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية الهامة بتاريخها وتراثها العريق، وتميزت بمكانة مرموقة كونها من أهم المعالم العمرانية الإسلامية، حيث طغت عليها الصبغة الدينية والأثرية منذ القدم ليس في الجزائر فحسب بل عدت من أعرق المدن في بلاد المغرب الإسلامي كله حيث عرفت المدينة توافد العديد من الحضارات الإنسانية خلال تاريخها الطويل، والتي تركت بصمتها وأخذت منها أحسن ما فيها من تراثها الحضاري والثقافي، مما جعل مدينة قسنطينة محط أنظار الدارسين وإعجاب الرحالة والجغرافيين لمدة طويلة، فقد كانت مبعث وموطن للحركات العلمية ولا زالت كذلك إلى يومنا هذا.

وبمجيء العثمانيين أصبحت مدينة قسنطينة ثاني أهم مدينة بعد الجزائر، وعرفت نهضة علمية وثقافية وبلغت مرتبة مهمة، وصارت منبعاً للإشعاع الفكري والحضاري، وحاضرة من حواضر العلم، فكانت قبلة للعلماء وطلاب العلم، ومما ساهم في ذلك ظاهرة البيوتات العلمية التي هي أسر نافذة تمكنت من البروز في مجال واحد أو في عدة مجالات، وأنجبت العديد من العلماء والفقهاء والأدباء الذين تصدروا للتدريس والتأليف والافتاء والقضاء... إلخ، ومما ساهم في تلك الظروف الملائمة التي ساعدت على بروز هذه البيوتات، وما تملكه من إمكانيات مادية ومؤهلات معنوية، مكنتها من أداء دور مهم في مجالات عديدة، خاصة المجال الديني والثقافي والسياسي، فلعبت دور الوسيط بين المجتمع والسلطة.

وتعد البيوتات العلمية وهي موضوع دراستي المحرك الأساسي لعجلة الحياة الفكرية والثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، وذلك لحرص الأسرة العلمية على تعليم أبنائها، فهي التي أمدت المجتمع القسنطيني بالعلماء المدرسين والفقهاء والقضاة والشعراء والادباء الذين تولوا التدريس وأخرجوا جيل مثقف، ورفعوا مكانة المدينة إلى الشهرة.

ومن ثم جاء موضوع دراستي الموسوم بـ "البيوتات العلمية بقسنطينة خلال العهد العثماني (1518-1830)" كونه يعالج أحد الجوانب المهمة في الحقل الثقافي والفكري

إشكالية الدراسة:

تتمحور الإشكالية التي تطرحها ضمن هذه الدراسة حول:

ما مدى إسهام البيوتات العلمية في نهضة قسنطينة العلمية والثقافية خلال العهد العثماني، وماهي العوامل التي ساعدت في نشأة واستمرارية تلك البيوتات؟

تساؤلات الدراسة:

ولمناقشة إشكالية الدراسة وجب علينا الإجابة على عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- ماهي أبرز مظاهر الحياة العلمية في قسنطينة؟ وكيف كانت حالة التعليم فيها؟
- ماهي البيوتات التي أنجبت العديد من العلماء؟ وماهي عوامل ظهورها؟
- إلى أي أصول تنتمي هذه البيوتات؟ ومن أهم أشهر وأبرز علمائها؟
- ما هو حجم مساهمتهم الفكرية والاجتماعية في قسنطينة ودورهم في تطوير المدينة؟
- كيف كانت علاقة تلك البيوتات بالسلطة الحاكمة؟ وماهي الوسائل التي لجأت إليها السلطة من أجل كسب هذه البيوتات إلى جانبها؟

أسباب اختيار الموضوع:

من أسباب اختيار الموضوع فهناك دوافع موضوعية ودوافع ذاتية،

الأسباب الموضوعية: من الأسباب الموضوعية نذكر:

- قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، وإن كانت هناك فهي تشمل أسرة من الأسر.
- تسليط الضوء على عدد لا بأس به من الأسر، والتي كانت لها اسهامات جلييلة في الميدان الثقافي والاجتماعي والسياسي ومدى تأثيرها على مدينة قسنطينة.
- حاجة المكتبة الجامعية لمثل هذه الدراسات المتخصصة في التاريخ المحلي الثقافي.

الأسباب الذاتية:

أما عن الأسباب الذاتية فقد كان اختياري للموضوع نتيجة ميول شخصيتي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تشجيع الأستاذ المشرف على تناول البيوتات العلمية بقسنطينة، لما لعبته من دور فعال لا بد من إلقاء الضوء عليه.

المنهج المتبع:

ولدراسة هذا البحث بطريقة منهجية اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي القائم على الوصف والسرد، أي وصف مدينة قسنطينة من الناحية الجغرافية ومن الناحية الثقافية، وسرد الوقائع والأحداث مع ذكر المعلومات الخاصة بكل بيت من البيوتات العلمية التي اشتهرت بهم قسنطينة مع التحلي بالدقة والموضوعية قدر الإمكان، كما اعتمدت على المنهج المقارن للمقارنة أحياناً بين الأسر والبيوتات العلمية المختلفة

خطة الدراسة:

ولدراسة موضوعنا والإجابة على الإشكاليات المطروحة سابقا اعتمدت على خطة بحث تشمل مقدمة ومدخل تمهيدي وأربعة فصول، على أمل أن أحيط بجوانب البحث بالشرح والتفصيل.

في الفصل الأول فيه الحياة العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، وقد شمل التعريف بمصطلح البيوتات مدلوله وعوامل ظهوره في قسنطينة، كما تضمن المؤسسات التعليمية التي ظهرت في المدينة من مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب ومكتبات، ونظام التعليم في هذه الفترة وطرقه ومقرراتها وكذا وظائف العلماء ومكانتهم.

والفصل الثاني تطرقت فيه إلى البيوتات العلمية الكبرى بقسنطينة، وجاء فيه كل من بيت الفكون وبيت ابن باديس وبيت ابن قنفذ وبيت الكماد، مع ذكر أصل ونسب كل بيت وأهم العلماء في كل بيت وما خلفوه من تراث عريق وأهم الوظائف التي تولوها وتوارثوها.

أما الفصل الثالث فتعرضت فيه إلى بيوتات علمية متفرقة بمدينة قسنطينة، وشمل كل من بيت المسبح، بيت العطار، بيت ابن جلول، بيت ابن عبد المؤمن، وأيضا ذكرت فيه أصل كل بيت وأهم علماء تلك البيوت العلمية والوظائف التي تولوها.

والفصل الرابع والأخير كان بعنوان المكانة الاجتماعية للبيوتات العلمية، وخصصت فيه الحديث عن العلاقة بين البيوتات والوضع المادي لها، وعلاقتها بالسلطة الحاكمة.

وفي ختام بحثي استخلصت مجموعة الاستنتاجات، والتي أجبت فيها عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة في المقدمة.

لمحة عن أهم المصادر والمراجع:

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مصادر متنوعة أفادتني كثيرا للإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، ومنها كتاب "أم الحواضر في الماضي والحاضر" لابن شعيب، الذي تناول فيه التاريخ السياسي والثقافي لقسنطينة في فترات زمنية مختلفة، وترجم لكثير من الأعلام، كما اعتمدت على "منشور الهداية في حال من أدعى العلم والولاية" لابن الفكون والذي أفادني كثيرا في دراسة الترجمة لعلماء البيت الفكوني والتعرف على بعض الأسر الأخرى، وأيضا كتاب "الرحلة المغربية" للعبدري الذي استفدت منه التعرف على حاضرة قسنطينة التي وصفها وصفا دقيقا، أما المصادر التي اعتمدت عليها وألفها أجنب أذكر منها "قسنطينة أيام باي" لفندلين شلوصر ومذكرات وليام شالر القنصل الأمريكي في الجزائري (1819-1824).

كما اعتمدت على العديد من المراجع منها "تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعد الله الذي تناول كل ماله علاقة بالحياة الفكرية والأدبية والثقافية في العهد العثماني، وكتاب آخر له "شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلف" تناول المحيط السياسي والفكري واهتم بالخصوص بمؤلفات العالم وآرائه، كما دعمت دراستي بكتابات ناصر الدين سعيدوني ومنها: "ورقات جزائرية" و"الشرق الجزائري". كما اعتمدت على بعض المعاجم، منها "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض والذي استفدت منه في التعريف ببعض العلماء، كما اعتمدت على بعض الأطروحات والرسائل العلمية التي لها صلة بموضوع دراستي كأطروحة فوزية لزغم الموسومة بـ "البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي".

صعوبات البحث:

وقد صادفني مجموعة من الصعوبات التي تواجه أي باحث في بحثه ومن أهمها:

- تداخل أسماء الشخصيات، والأسماء المعبدة مثل أبو عبد الله، أبو عبد الرحمان، أبو العباس... إلخ، مما صعب التمييز بينها.
 - صعوبة البحث في المصادر القديمة التي تناولت الموضوع من زوايا مختلفة، وسكتت عن جوانب أخرى مهمة.
 - ضيق الوقت المخصص لإعداد المذكرة لم يسمح بالتعمق في البحث.
- وفي الختام نعترف أن ما جاء في هذه المذكرة ما هو إلا خطوة متواضعة، حاولنا من خلالها إبراز الإرث الحضاري والثقافي لإحدى أهم مدن الجزائر خلال العهد العثماني، التي ساهمت في إنعاش الحياة الثقافية في المدينة وفي كامل الجزائر خلال هذه الفترة، ونأمل أن نكون وفقنا في عملنا، ولا يفوتنا تقديم الشكر للأستاذ المشرف وللقائمين على مكتبة الكلية، ومكتبة مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية.

الفصل الأول:

الحياة العلمية بقسنطينة خلال العهد العثماني

أولاً: مصطلح البيوتات دلالاته ونشأته:

1- مفهوم البيوتات.

2- ظهور البيوتات في مدينة قسنطينة.

ثانياً: مظاهر الحياة العلمية والفكرية في قسنطينة.

1- المؤسسات التعليمية.

2- نظام التعليم.

3- وظائف العلماء.

4- مكانة العلماء.

أولاً: مصطلح البيوتات دلالاته ونشأته

تعتبر ظاهرة البيوتات من بين المواضيع التي أسالت كثيراً من الحبر، وجذبت أقلام المؤرخين لمعالجتها، لاعتبارها أحد الأطراف المشاركة في ازدهار الحياة العلمية

1- مفهوم البيوتات:

أ- المفهوم اللغوي:

نجد ابن المنظور قال في مفهوم البيوتات: بيت مفرد وجمعه بيوت⁽¹⁾. وجمع جمعه أبابيت وبيوتات وأبياوات⁽²⁾، والبيت من بيوتات العرب الذي يضم شرف القبيلة، ويقال: بيت تميم في بني حنظلة أي شرفها⁽³⁾. وإذا سئل شخصه: هل لك بيت؟ أي امرأة⁽⁴⁾.

ب- التعريف الاصطلاحي:

بالنسبة للتعريف الاصطلاحي فنجد ابن خلدون في كتابه "المقدمة" يقول: "معنى البيت هو أن يعد الرجل في أبنائه أشرافاً مذكورين، تكون له بولادتهم إياه، والانتساب إليهم، تجلة من أهل جلالته لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم بخلالهم"⁽⁵⁾، والشريف الذي يعنيه ابن

¹ - جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير، ج1، (دط)، دار المعارف، القاهرة، (دس)، مادة "بيت"، ص 393.

² - مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، (دط)، دار الحديث القاهرة، 2008، باب "بيت"، ص 176.

³ - جمال الدين بن منظور، المرجع السابق، ص 393.

⁴ - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، 1998، ص 86.

⁵ - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، مر: سهيل زكار، (دط)، دار الفكر، لبنان، 2006، ص 167.

خلدون هنا فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالحسب والعصبية في القبيلة التي معناها البيت. والزمخشري قال في هذا الصدد: "إذا قلنا فلان من أهل البيوتات، بمعنى أنه من بيت كريم" (1). مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" (2)، وهذا دلالة على العفة والعظمة. و في القرآن الكريم جاء مصطلح البيوتات بصيغة المفرد ولم يرد بصيغة الجمع، لقوله تعالى: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" (3)

2- ظهور البيوتات في مدينة قسنطينة :

إن استعمال مصطلح البيوتات شاع في القرن (8هـ-14م) من طرف نخبة المغرب الأوسط الذين كتبوا في مناقب الأسر العلمية وأرخوا لها كعبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ-1405م)، وأخوه يحيى (ت 870هـ-1378 م) وكذلك مؤرخ قسنطينة ابن قنفذ الخطيب (ت 810هـ-1407م) (4).

أما ظاهرة البيوتات في مدينة قسنطينة فقد كان ظهورها في العهد الموحي وذلك لما شهدت المدينة من حياة علمية نشطة قادها رجالها وعلمائها الذين اشتهروا بالتدريس والتأليف ولقد لعبت تلك الأسر العلمية دورا فعالا في المدينة، على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي، وحتى على الصعيد التجاري مما أدى إلى تنشيط الحركة الاقتصادية نفسها.

1 - أبو القاسم بن عمر الزمخشري، المرجع السابق، ص 86.

2 - عماد الدين أبي الفداء بن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تح ، محمد علي الصابوني، مجلد2، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981، "تفسير سورة يوسف"، ص 240.

3 - سورة الأحزاب، الآية33.

4 - علال بن عمر، الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (من القرن 7-10هـ / 13-16م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، قسنطينة 2011، ص 173.

ومن عوامل ظهور هذه البيوتات نذكر:

◀ الجو الثقافي الملائم الذي وفرتة السلطة وذلك من خلال المنافسة بين أمراء المغرب وتشجيع الاشتغال بالعلم، حيث قربوا العلماء واستقطبوا مشاهيرهم من مختلف أنحاء المغرب والأندلس حتى صار البلاط يعج بهم وكل ذلك راجع إلى أن بعض الأمراء كانوا على نصيب من العلم والثقافة، يعقدون المجالس العلمية ويتصدرون المناقشة لها، ويقدرّون رجال الفكر ويرفعون من منزلتهم⁽¹⁾.

◀ كان أغلب السكان مدينة قسنطينة من الحضر، واستطاعت العديد من عائلاتهما أن تحصل ثروات كبيرة لا سيما العائلات القريبة من السلطة أو تلك التي تشتغل بالتجارة وبالتالي الجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة. تكونت بيوتات قسنطينة التي اشتهرت بالتنافس فيما بينها حول النفوذ والامتيازات في المدينة⁽²⁾.

◀ الاعتناء بالمؤسسات التعليمية والدينية وبرجال الفقه والعلم والأدب، وتشجيع التأليف والتصنيف، وإنشاء المكتبات والمراكز التعليمية المختلفة، كالمدارس والمساجد والزوايا وتوفير الكتب لها.

◀ تعود هذه الظاهرة خاصة إلى الوعي الذي كان سائدا لدى الأسر بالمدينة وأعيانها⁽³⁾.

¹ - عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي (ق7-10هـ / 13-16م)،

مجلة جامعة قسنطينة، علوم انسانية، العدد01، دار نوميديا، قسنطينة، جوان 1990، ص 18

² - أبو العباس أحمد القسنطيني ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي،

الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 148.

³ - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 19.

◀ وجود الناسخين والخطاطين والوراقين الذين يتمتعون بمكانة علمية هامة، حيث كانت دكاكينهم ومحلاتهم مقرا للعلم والقراءة والطبع والنسخ⁽¹⁾.

◀ الشرف والنسب العربي الذي كانت تتمتع به هذه العائلات كما كانت صاحبة نفوذ ولها العديد من الحلفاء من أهل القبائل والعشائر، هذا مما جعلها تحتكر الجاه والمال والعلم والوظائف الدينية⁽²⁾.

ومنه يمكننا القول أن مدينة قسنطينة خضعت لبعض البيوتات القسنطينية المشهورة بالعلم والفقه، حيث لعبت دورا مهما منذ بداياتها في العهد الموحي إلى غاية العهد العثماني، وساهمت منذ بادئ الأمر في تطور الحياة الثقافية، وأشهر هذه العائلات: ابن الفكون، ابن قنفذ، ابن باديس... إلخ. والتي سنتعرض إليها لاحقا.

ثانيا: مظاهر الحياة العلمية والفكرية في قسنطينة

كانت حركة الثقافة في الجزائر قبل دخول العثمانيين تتركز في ثلاث حواضر أساسية هي: مدينة تلمسان بغرب البلاد ومدينة بجاية في الوسط وقسنطينة في الشرق، وكانت هذه الحواضر تعد بحق مراكز الثقافة والتعليم والإشعاع الفكري، فقد ازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون لعدة قرون، كما اشتهرت بها أسر علمية توارثت العلم والمعرفة وتقلد أفرادها مناصب التدريس والإفتاء والقضاء والإمامة⁽³⁾.

¹ - عبد العزيز فيلاي، جوانب من الحياة الثقافية وفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا، معهد العلوم

الاجتماعية، العدد 10، جامعة قسنطينة، الجزائر، أبريل 1988، ص 73.

² - علال بن عمر، المرجع السابق ص 175.

³ - عبد الرحمان أبو زيد ابن خلدون، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، ج3، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1957، ص990.

لكن في العهد العثماني لم يحظ الجانب الثقافي باهتمام الأتراك مثلما حظيت به بقية القطاعات الأخرى، ولهذا اعتمدت الثقافة العربية الإسلامية في تطورها النسبي والعديدي على ذاتيتها، انطلاقاً من المؤسسات الثقافية المحصورة في المساجد والمدارس والزوايا وحتى الكتاتيب لنشر الدين والتعليم العربي الإسلامي، الأمر الذي دفع حمدان بن عثمان خوجة للقول: "إن طاقات فكرية كانت تكمن في أواسط المجتمع الجزائري، لهذا اعتنوا بالعلوم والآداب فكان منهم الشعراء والأساتذة في التاريخ وشرعون"⁽¹⁾.

1- المؤسسات التعليمية:

يقصد بالمؤسسات التعليمية تلك الأماكن التي يتلقى فيها طالب العلم عن شيخه أو مربيه العلم النافع، إلى جانب المبادئ التربوية الإسلامية، ومن أهم المؤسسات التعليمية التي عرفت لدى الجزائريين، نذكر:

أ- **المساجد:** برزت في الجزائر خلال العهد العثماني مؤسسات تعليمية دينية، كانت ممثلة في الزوايا والمساجد، والتي كان لها دور كبير في الحياة العلمية والدينية وكذلك المجال الاجتماعي والسياسي، وقد اعتبرت المساجد المنبع الأول للتعليم⁽²⁾.

كان هناك تداخل بين المسجد والزوايا والجامع من حيث التسمية إلا أن المسجد أو الجامع كان دوره الأساسي أنه المكان الذي يقوم فيه المسلمون بتأدية الصلاة المفروضة⁽³⁾.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تق وتتح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص 73.

² - يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 154.

³ - أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، (دس)، ص 12.

وبصفة عامة يعتبر مكانا للعبادة ونشر العلم وملقى للعباد والأعيان والعلماء على حد سواء، وكان دوره كبير في تنشيط الحياة العلمية والاجتماعية⁽¹⁾، فكان مكانا لحفظ القرآن وتعلم الفروض الدينية وعلاج مشاكل الناس وقضاياهم اليومية⁽²⁾.

تميزت حواضر الجزائر خلال العهد العثماني بكثرة المساجد التعليمية وحيث انفردت كل حاضرة بمجموعة من المساجد، وسنخص بالذكر حاضرة قسنطينة حيث بلغ عدد مساجد قسنطينة خلال العهد العثماني حسب الحفناوي اثني عشر مسجدا او جامعا⁽³⁾، وذكر العنتري أن مدينة قسنطينة بها أكثر من مئة جامع ومسجد وزاوية وكتاب، نشط بها أئمة ومؤذنون ومعلمون للقرآن الكريم ومدرسون للعلوم الدينية والأدبية ومرشدون ومصلحون⁽⁴⁾. في حين فايسات⁽⁵⁾ يذكر أنه يوجد بقسنطينة أكثر من مئة مسجد ضم كل مسجد مجموعة من المقاعد المخصصة لحفظ القرآن وكذلك شيخا يهتم بالأوقاف⁽⁶⁾. أما فيرو فذكر أن بها 75 مسجدا وجامعا بالإضافة إلى 7 مساجد تقع خارج المدينة⁽⁷⁾.

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1500)، ج1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998، 246.

2 - يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص197.

3 - أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ببير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص 120.

4 - محمد الصالح ابن العنتري، تاريخ قسنطينة، مر: يحيى بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 1931، ص 35.

5 - هو كاتب فرنسي نشر دراسة سنة 1867 بعنوان قسنطينة تحت الهيمنة التركية، لخص فيها المعارف حول التاريخ السياسي للبايلك طول الفترة المذكورة. وقد صدرت في حوليات الجمعية الأثرية لمدينة قسنطينة (R NAMC) ثم المجلة الافريقية (RA). أنظر: فاطمة الزهراء قشي، المدينة والمجتمع، ص 40.

6 - رياض بولبحال، أخبار بدلة قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة متتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 35.

7 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج5، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 80.

في حين ناصر الدين سعيد وني قال أن قسنطينة بها حوالي 100 مسجد او مصلى ولكل منها ما يتبعها من الأملاك ويستخدم مردودها في المحافظة عليها⁽¹⁾. وأبرز المساجد التي عرفت بها قسنطينة خلال العهد العثماني نذكر:

❖ **الجامع الكبير:** هو أقدم جامع بالمدينة، يعود بناؤه إلى القرن 13م⁽²⁾. واعتنت عائلة الفكون بهذا المسجد اعتناء كبيرا، فقد كانت امامته تنتقل بين أفرادها الذين كانوا يؤدون فيه الشعائر الدينية والصلوات الخمس وخطبة الجمعة، وكانت هذه العائلة تسير أموره وتشرف على كل ما يحتاج إليه من بناء وتزيين وأفرشة. كما لعب هذا المسجد دورا كبيرا في مجال التعليم والتثقيف وإقامة الدروس⁽³⁾.

❖ **مسجد سوق الغزل:** بني عام 1721م بأمر من الباي حسن، والمقصود هنا بالغزل هو "الصوف المهيأة للنسيج"⁽⁴⁾، واعتبر هذا المسجد حاضرة علمية باعتباره جمع مجموعة من العلماء الذين تولوا عملية التدريس فيه⁽⁵⁾.

❖ **جامع الأخضر:** بناه الحسن بن حسين سنة 1743م، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى الولي الصالح سيدي لخضر الذي أشرف على تسيير أمور هذا المسجد

¹- ناصر الدين سعيد وني، الشرق الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص 219.

²- فاطمة الزهراء قشي، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانية، مركز البحث والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد 09-13، 2013، ص 13.

³- كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاثة في الجزائر التأسيس والتطور (1850-1959م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص 29.

⁴- محمد المهدي بن شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، ط 1، مطبعة البعث، الجزائر، 1980، ص 240.

⁵- خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007، ص 76.

❖ **مسجد سيدي الكتاني:** شيد في عهد الصالح باي سنة 1776 م، ويعتبر من بين أهم المعالم الموجودة في مدينة قسنطينة، وسمي نسبة إلى الولي الشيخ الكتاني الذي بني المسجد فوق ضريحه.

بالإضافة إلى مجموعة من المساجد الأخرى منها : جامع سيدي عفان، جامع سيدي محمد بن ميمون، جامع سيدي علي مخلوف، جامع سيدي الحليس، جامع رحبة الصوف... إلخ (1) وكانت تعقد في هذه المساجد جلسات للمحاكم والتقاضى، والتي استحسن عقدها فيها بدل الساحات والأسواق. وهذا ما رآه بعض الفقهاء (2).

ب- الزوايا:

أبرز ما ميز الجزائر في العهد العثماني هو انتشار ظاهرة التصوف وكثرة المباني المخصصة لها في المدن والأرياف على حد سواء (3)، وهذا ما أدى بطريقة مباشرة الى ظهور الزوايا التي أسسها رجال عرفوا بين الناس بالتصوف، فأنشأوا مراكز لاستقبال الزوار والغرباء ويتم فيها تعليم الطلبة (4).

¹ يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة بالغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 29.

² مصطفى عبيد، القضاء بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور جديدة، مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر ع 11-12، جامعة وهران، الجزائر، فيفري 2014، ص 219.

³ أبو القاسم عبد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 262.

⁴ محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتحت: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 58.

عرفت هذه المراكز بالزوايا واحتلت المراتب الأولى من بين المراكز الثقافية من ناحية تنقيف المعوزين والفقراء⁽¹⁾، وهي تتكون من مجموعة من الأبنية التي امتازت بطابعها العمراني الإسلامي وبنائها شبيه ببناء المدرسة⁽²⁾.

كانت الزوايا في بداية العهد العثماني عبارة عن رباطات أو واجهة أمامية ضد الأعداء، حيث كان المرابطون يقودون أبنائهم في الحروب ويطعمون المجاهدين في زواياهم، ويتحالفون مع الأمراء من أجل الدين وحماية البلاد، ولهذا تحالف بعض المرابطين مع العثمانيين حيث قدموا لهم المساعدات الأساسية من تجنيد الشعب وجمع المؤن⁽³⁾.

وأخذت الزاوية طابعا دينيا وثقافيا، حيث كان مؤسس الزاوية هو المسؤول الرئيسي عنها، فهو من يقوم بتدريس واستقبال الأتباع والطلبة وأداء الصلوات الخمس ويصلح بين الناس ويحكم بينهم، وفي حالة غيابه يتولى إدارة هذه الزاوية وأبنائه وأحفاده⁽⁴⁾. والزاوية لا تقتصر على المؤسس فقط بل تحتاج إلى منظمين ومؤذنين ومساعدين وكان لبعض زوايا المدن مديرين يعينهم وكلاء الأوقاف العامة والخاصة⁽⁵⁾.

¹ - أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 149.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 267-268.

³ - الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و13 الميلاديين، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص223.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 271-272.

⁵ - أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان(الجزائر) أواخر العهد التركي، مجلة أمارياك، مج4، ع7، 2013، ص 67.

قد نشطت هذه الزوايا في الميدان التربوي، كتعليم الصغار وحفظ القرآن الكريم وتدريس بعض العلوم كالفقه والنحو والصرف والبلاغة والحديث والتفسير، وكان التعليم بها مجانيا ومفتوحا لكل الصغار⁽¹⁾.

لعبت هذه الزوايا دورا كبيرا في الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية وحتى السياسية، فقد اهتمت بتحفيظ القرآن ونشره وتعميمه بين مختلف الطبقات الاجتماعية بهدف حمايته من الهجران، كما عملت على المحافظة على اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وشجعت الطلاب على العلم والمعرفة، وأنفقت عليهم بهدف مقاومة الجهل والأمية، كما حاولت نشر الاسلام في المناطق التي لم يصل إليها، وهدفت إلى ازالة الفوارق الاجتماعية بين فئات المجتمع، وكان لها دور بارز في إنهاء الخلافات والخصومات والمشاكل⁽²⁾.

وقد ضمت مدينة قسنطينة مجموعة من الزوايا بلغت حوالي 16 زاوية سواء في المدينة أو نواحيها ومن بين هذه الزوايا: زاوية سيدي مسيد، زاوية سيدي مخلوف، زاوية سيدي ميمون، زاوية سيدي راشد، زاوية سيدي التلمساني، زاوية سيدي عفان، زاوية سيدي عبد المؤمن⁽³⁾. أما الزوايا التي اشتهرت في نواحي المدينة نذكر: زاوية بني مسعود، زاوية محمد بن يحيى، زاوية مولاي الشقفة.

¹ - يمينه سعودي، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال العثمانية، بحث مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006م، ص 42.

² - يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص 203-204.

³ - أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 153.

كما كان لقسنطينة عدد من الزوايا الخاصة بالعائلات الكبيرة، لأنهم رأوا فيها سبيلا الأجر في الآخرة والعلم في الدنيا. ومن ابرز العائلات التي كانت لها زوايا خاصة بها نذكر: عائلة الفكون، عائلة ابن نعمون، عائلة ابن باديس... إلخ⁽¹⁾.

تقوم هذه الزوايا بدفع رواتب المدرسين والعلماء من أموال الزكاة وما يقدمه لها السكان⁽²⁾. وكانت هذه الزوايا مقصدا لطلبة العلم من جهة والراحة والإقامة ومن جهة أخرى وتحتوي غرقا للمبيت وقاعة للاستقبال ومكان للدرس والمكتبة، وكانت تضم مدافن الأسرة⁽³⁾.

ج- الكتاتيب:

تعريف الكتاب: هو أقل وحدة للتعليم الابتدائي، ويعرف أيضا باسم المكتب وكان يطلق عليه اسم المسيد، وهي كلمة محرفة عن كلمة مسجد⁽⁴⁾، وهو المكان الذي يتلقى فيه التلميذ دروسه الأولى وتربيته الأساسية، وقد أسست هذه الكتاتيب من أجل الحفاظ على الطهارة ونقاوة المساجد يقصدها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ستة إلى عشرة سنوات⁽⁵⁾. يعتبر الكتاب مميزا عن بقية المؤسسات التعليمية فهو يسمح بتعليم جميع فئات المجتمع، وهو لا يتطلب نفقات كثيرة كما يمكن القول أنه نتاج لمبادرات شعبية فالأدوات المستعملة فيه للتعليم

1 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 265.

2 - يمينة سعودي، المرجع السابق، ص 53.

3 - أبو القاسم سعد الله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلف، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1986، ص 36.

4 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 276.

5 - أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 80.

بسيطة وزهيدة التكاليف⁽¹⁾، وهو عبارة عن بيوت مستقرة أو حجرة أو دكان أو جناح في المسجد فقد كان بعض الواقفين عليها يكتفون بفتح غرفة في المنزل ويجعلها كتابا⁽²⁾.

كانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء والواقفين عليها من مختلف طبقات المجتمع من باشوات وبايات وموظفين فقد كانوا يشتركون مع الأهالي في هذه المهمة العلمية والخيرية⁽³⁾.

إذا تحدثنا عن طريقة التدريس التي تتم في الكتاب، فهي تتم عبر مراحل كالنحو التالي:

المرحلة الأولى: يتم فيها تعليم كيفية نطق الأحرف، حيث يحضر هذا الطفل الى الكتاب وتقدم له لوحة في الجهة الأولى تسجل فيها حروف الهجاء بالعربية، والجهة الثانية تسجل عليها سورة الفاتحة ثم يبدأ الطفل بحفظ هذه السورة، بعد أن يحفظها يقوم بمحوها ويكتب السورة الموالية، وتبقى الحروف مسجلة حتى يحفظها التلميذ أولا بأسمائها ثم ينتقل إلى نطقها بالعامية، وبعدها يتعرف على رسم الحروف وأشكالها ومعرفة وجه الشبه بينهما.

المرحلة الثانية: تتمثل في كتابة المعلم سورا من القرآن الكريم ويقوم التلميذ بتمرير قلم غليظ على ما كتبه المعلم.

المرحلة الثالثة: يكتب المعلم سطرا ويترك سطرا فيأتي التلميذ لينقل ما كتبه المعلم في السطر الأعلى.

¹ - مختارية تيراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية التربوية المعاصرة، مجلة الانسانيات،

مركز البحث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع56-57، 2001، ص 14

² - يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 199

³ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 277.

المرحلة الرابعة: يقوم التلميذ بتهجئة الكلمة التي يملئها عليه المعلم، ويرجع عند كل حرف يريد كتابته الى حرف الهجاء المكتوب على اللوحة⁽¹⁾.

د- المدارس:

ظهرت المدارس في البلاد الاسلامية بعد اتساع الرقعة الجغرافية للدولة الاسلامية وكذلك بعد اكتساب المسلمين العديد من ثقافات وحضارات الشعوب، ودعت هذه الأخيرة بضرورة اقتباس علومها ومعارفها، وعادة كانت المدارس تؤسس بجانب المسجد نظرا للأهمية التي كانت موجودة بين المسجد والمدرسة وباعتبار أن المسجد كان مكانا للعبادة والعلم في آن واحد⁽²⁾. وقد عرف أبوراس الناصري المدرسة على أنها دار العلم، أي تعليم العلوم، واشترط في المدرسة أن يكون فيها بيت للصلاة، وقد تنوعت العلوم والمعارف التي تدرس فيها فهي على ثلاثة أصناف⁽³⁾.

- العلوم الدينية: تقوم على تحفيظ القرآن الكريم وتفسير الحديث وتعليم الفقه والتوحيد والمنطق والأصول.

- علوم اللغة وآدابها: كالنحو، الصرف، البلاغة، العروض وقواعد الإنشاء.

- العلوم الطبيعية والتجريبية: كالفلك، الحساب، الطب والصيدلة الشعبية⁽⁴⁾.

¹- مختارية تيزاري، المرجع السابق، ص 15.

²- يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة...، المرجع السابق، ص 11.

³- كمال خليل، المرجع السابق، ص 31.

⁴- يحيى بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات...، المرجع السابق، ص 12.

وعموما فقد عرفت المدارس انتشارا واسعا خلال العهد العثماني، حيث لا يكاد يخلو حي من وجود مدرسة، وهذا ما أقر به كل من زار الجزائر كما أبدوا إعجابهم بالمدارس التي وجدت بها وعدم وجود الأمية بين سكانها⁽¹⁾.

لقد كانت مدينة قسنطينة غنية بالمدارس قبل دخول العثمانيين إليها، فيذكر ابن قنفذ أن أبا علي حسن بن أبي القاسم بن باديس قال أن السلطات أبا الحسن المريني أراد أن يبنى مدرسة بقسنطينة وهذا ما يدل على أن هذه المدينة عرفت إنشاء المدارس منذ أزمنة طويلة، لكن هذا الأخير لم يكتب إنشاءها فقد تم نقله الى تونس⁽²⁾.

بالإضافة إلى هذه المدرسة كانت هناك مدرسة أخرى عرفت باسم مدرسة "محمد شقرون"، ثم أصبحت تعرف باسم مدرسة "عائلة الفكون". وكان يتم فيها تدريس القرآن الكريم ومختلف علومه وكذلك علم النحو، وجد في هذه المدرسة ضريح محمد شقرون وعند وفاة الجد (عبد الكريم الفكون) تم دفنه هناك، وبقيت المدرسة قائمة إلى عهد عبد الكريم الفكون الحفيد وكان أحفاد الفكون كلهم قد دفنوا في هذه المدرسة إلى جانب محمد شقرون⁽³⁾.

والورثيلاني انتقد في رحلته تدهور أحوال الناس، وانتقد ولاية قسنطينة الذين حسبه لم يشتغلوا ببناء المدارس إلا في عهد صالح الباوي الذي أسس مدرستين هما: المدرسة الأخضرية والمدرسة الكتانية.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 374.

² - أبو العباس أحمد الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقيير، نص: محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، 1965، ص 71.

³ - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1987، ص 51.

ولم تكن بقسنطينة في هذه الفترة هذه المدارس فقط، وإنما وجدت العديد من المدارس الابتدائية الأخرى، فقد وجد بها أواخر العهد العثماني حوالي 90 مدرسة، أما بالنسبة إلى التعليم الثانوي والعالي فقد وجدت فيها 7 مدارس⁽¹⁾.

وكما قلنا سابقا أن والورثيلاني قد ذكر أن قسنطينة عرفت فترة ازدهار في إنشاء المدارس خلال عهد صالح باي الذي أسس مدارس وأنشأ بكل مدرسة مسجدا وكتابا ومكتبة. وذكر صالح باي في سجله للأوقاف أنه وجد مدرستين ثانويتين هما مدرسة بوقصيعة ومدرسة ابن خلدون⁽²⁾.

هـ - المكتبات:

احتوت الجزائر خلال العهد العثماني على مجموعة من المكتبات، وجدت بها كتب كانت من إنتاج تأليف محلي أو عن طريق النسخ، أو وصلت إلى مكتبات الجزائر من مكتبات مصر والحجاز والأندلس⁽³⁾.

كما جلب الجزائريون المخطوطات من الدولة العثمانية وبلاد المغرب، فضلا على أن معظم الكتب قد وردت إلى الجزائر عن طريق بعض العمال العثمانيين في الجزائر فيهم من اصطحبوا معهم مكتباتهم وأوراقهم ووثائقهم⁽⁴⁾.

كما كان هناك نوعان من المكتبات في الجزائر، المكتبات العامة التي أقيمت بجوار المساجد والزوايا، وكذلك المدارس. حيث كانت مساجد الخطبة تحتوي على مخازن للكتب والتي

¹ - يمينة سعودي، المرجع السابق، ص 52.

² - فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف (1792-1771م)، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2009، ص 11.

³ - رشيدة شجري، العلماء وعلاقتهم بالسلطة العثمانية فترة الدايات (1830-1671م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006، ص 62.

⁴ - مؤيد محمود حمد المشهداني، سلمان رشيد رمضان: أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي (1830-1518م)، مجلة الدراسات التاريخية، مج 5، ع 16، نيسان 2013، جامعة تكريت، ص 438.

أوقفت على الطلبة والعلماء، أما المكتبات الخاصة فكان عددها كثير في الجزائر، وكانت تعود إلى العائلات العلمية التي ذاع صيتها ويرجع ذلك إلى عمرها الطويل.

معظم الكتب التي كانت تحتويها هذه المكتبات كانت كتب دينية في التفسير والحديث والفقه، أكثر منها أدبية أو علمية. وكان الهدف من إنشاء هذه المكتبات هو خدمة الدين والثقافة⁽¹⁾.

وإذا تحدثنا عن المكتبات في مدينة قسنطينة فيمكننا القول أنها كانت تعج بالمكتبات وقد احتوت على كتب المشاركة والأندلسيين، إضافة إلى المؤلفات المحلية خاصة في العهد صالح باي الذي وفر الاستقرار وشجع العلماء وجلب الكتب⁽²⁾. فأهل قسنطينة كانوا مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات إن وجدت وكان بها مكتبات عامة وخاصة⁽³⁾.

المكتبات العامة: ساهم فيهم البايات والأعيان وكانت كتبها تأتي عن طريق النسخ والتصنيف ومن خارج البلاد كمصر والأندلس والقسطنطينية، سواء عن طريق الشراء أو الاقتناء. وقد أعجب المستشرقون الفرنسيون بكثرة الكتب والمكتبات بالمدينة، حيث خصصوا لها دراسات مختلفة ووضعوا لها تصنيفات ورتبوها قصد استخراج محتوياتها، ومن أشهر هذه المكتبات في قسنطينة مكتبة المدرسة الكتانية⁽⁴⁾.

¹ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج، المرجع السابق، ص 296-297.

² - رشيدة شكري، المرجع السابق، ص 63.

³ - مؤيد محمود حمد المشهداني، سلمان رشيد رمضان: المرجع السابق، ص 439.

⁴ - كمال خليل، المرجع السابق، ص 09.

المكتبات الخاصة: كانت توجد بقسنطينة حوالي سبع عشر مكتبة خاصة، وأشهر هذه المكتبات: مكتبة الفكون، مكتبة باش تارزي، مكتبة القاضي الحنفي محمد العربي بن عيسى... إلخ⁽¹⁾.

2- نظام التعليم:

كان التعليم منتشرا بصورة واضحة في الجزائر العثمانية، بدليل ظهور مدن وحواضر إشعاعية للعلم كحاضرة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق، حيث أصبحت مركزا من مراكز الإشعاع العلمي والثقافي، وهذا ما نجده في كتاب التحفة المرضية لمحمد بن ميمون الجزائري "أن قسنطينة كانت على عهد الأتراك... عاصمة دينية وكان العلماء فيها يتمتعون بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما كانت خاصة بعدد كبير من الطلبة يغتربون من خمسة وعشرون مدرسة للعلوم الدنيوية والآخروية... إن قسنطينة كانت مبعث نور الجزائر كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم"⁽²⁾.

أ- مراحل التعليم: كان التعليم في حاضرة قسنطينة كغيرها من حواضر الجزائر الأخرى يمر بثلاث يمر بثلاث مراحل، وهي:

المرحلة الابتدائية: كان كثير الانتشار في الجزائر⁽³⁾، وكان يلحق هذا التعليم في ثلاث آلاف كتاب أو ما يعرف بالجزائر "بالمسيد"⁽⁴⁾، حيث يبدأ الأطفال التعليم في سن السادسة من العمر⁽⁵⁾، تحت إشراف معلمين يختارهم سكان القرية أو الحي وتدفع أجورهم مما تدره أملاك

¹ - سعد الله، المرجع السابق، ص 302.

² - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 52.

³ - إيفون توران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين (1830-1880م)، تر: محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصب، الجزائر، 2005، 135.

⁴ - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956، ص 73.

⁵ - علي الخلاصي، قصبة مدينة الجزائر ج1، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص 35.

الأحباس أو عند أولياء الأمور أنفسهم⁽¹⁾، أما مقرر التلاميذ من المواد فقد كان كله دينيا ففي السنوات الأولى كان التلميذ يحفظ عن ظهر قلب الفرائض الدينية، وما يتصل بها من واجبات والقيام بها بجميع شعائر الإسلام، وفي نفس هذه المرحلة يتعلم الكتابة والقراءة ليتمكن من تلاوة القرآن وحفظه.

حيث يرى البعض أن القرآن الكريم وحده في هذه المرحلة كاف لتكوين خبرة علمية واجتماعية لدى الطفل، وبهذا عندما يصبح الطفل حافظا لمقرره من القرآن الكريم في هذه المرحلة ينتقل الى المرحلة الثانوية⁽²⁾.

المرحلة الثانوية: لم يكن الانتقال من التعليم الابتدائي إلى الثانوية يتم بطريقة منتظمة، وكثير من التلاميذ كانوا ينقطعون عن الدراسة ولا سيما الفقراء، وكانت مميزة في الدروس في هذه المرحلة الشرح والإملاء⁽³⁾.

المرحلة العالية: يذكر جون وولف أنه بحلول القرن 18م كانت توجد ثلاث مدارس عليا⁽⁴⁾، ورغم أن الرحالة الفرنسي فانتور ديبارادي تحدث أيضا في القرن 18م عن وجود ثلاث جامعات للتعليم العالي في مدينة الجزائر وحدها، ولكن الواقع أنه لم يكن للجزائر جامعة واحدة فقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسة للتعليم العالي توحد نظم التعليم وتحافظ على مستواه⁽⁵⁾، ولهذا كان الطالب الجزائري عند اتمام هذه المرحلة يتفوق يسافر إلى بعض البلدان الإسلامية لمواصلة

¹ محمد العربي الزيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 48.

² نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي (1830-1963م)، الدار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص 29.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 342، 245.

⁴ جون بـ وولف، الجزائر وأوربا (1855-1500م)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 154.

⁵ سعد الله، المرجع نفسه، ص 273.

دراسته والاستزادة في العلم⁽¹⁾، وقد كان هذا من نقاط الضعف البارزة في نظام التعليم في الجزائر، سواء قبل العهد العثماني أو خلاله: إذ لم يحاول الحكم العثماني رغم طول العهد تدارك هذا النقص الفادح⁽²⁾.

ونجد هناك من يرى أن الجامع الكبير من المدارس العليا بمدينة الجزائر، الذي كان يدرس فيه 18 استاذًا و 8 قراء وعدد آخر من العلماء يشغلون وظائف متنوعة⁽³⁾.

ب- طرق التعليم:

طريقة التعليم في الفترة العثمانية كانت مختلفة من مدرسة لأخرى، ومن شيخ لأخر، باختلاف المدارس الفكرية والعلمية التي تعلم منها علماء ذلك العصر، ويمكن ان تدرجهما في طريقتين هما:

الطريقة التقليدية: تعتمد هذه الطريقة على أسلوب الإلقاء والشرح والتلقين، وهو ما كان سائدا في المدارس، ويكون الطالب هنا سلبيا، بحيث يكون الاعتماد على الحفظ والذاكرة في هذه الفترة بشكل كبير⁽⁴⁾، وتتم هذه الطريقة في شكل حلقات حيث يجلس الشيخ مستند إلى أحد أعمدة الجامع أو المدرسة، وفي مكان مرتفع بالنسبة إلى من حوله ليسمعه الجميع، والشيخ لا يقيد عملية حضور أو غياب الطالب⁽⁵⁾.

¹ - أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 13.

² - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار البصائر، 2007، ص 154.

³ - المرجع نفسه، ص 85.

⁴ - صليحة بردي، الممارسات التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني، مجلة الذاكرة، ع11، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي للجزائر، كلية الآداب اللغات، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، جوان 2018، ص 129.

⁵ - نصيرة زميرلين، المرجع السابق، ص 32.

الطريقة الحوارية: تعتمد على الحوار (سؤال وجواب) وهي من الطرق الأندلسية التي انتقلت إلى بلاد المغرب، بحيث يتم ادراج الطالب في الحوار والتحليل والتعليل⁽¹⁾.

وقد انتقد ابن خلدون الطريقة الاولى بقوله: "ف نجد الطالب سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعلم... تجد ملكته قاصرة"⁽²⁾.

3- وظائف العلماء:

إن الحكام العثمانيون في الجزائر كانوا غرباء عن الثقافة العربية والتشريع الاسلامي، هذا الأمر جعلهم يهتمون بالدرجة الاولى بشؤون الحكم من سياسة وادارة وجيش... إلخ، وترك ماله علاقة بالدين والثقافة في يد فئة العلماء، وهذه الأخيرة احتكرت مجالات معينة في المجتمع⁽³⁾، ومنها نذكر:

أ- الافتاء: كانت أعلى وظيفة يتولاها العالم، لأن المفتي هو المترجم للشرعية من خلال اصداره الفتاوى في الأمور الدينية، وقد أوكل العثمانيون الرئاسة الدينية والقضائية بالجزائر⁽⁴⁾، وهذا المفتي كان يختار من الطبقة المثقفة الدينية ويجب أن يكون على درجة عالية من العلم والتعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلومه وعلوم الحديث... كما يكون ذو شخصية قوية ونزاهة وشجاع في الرأي ثابت على قول الحق⁽⁵⁾. وكان يتولى مهمة التدريس والإمامة

¹ - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق، بيروت، 1979، ص 228.

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 545.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 388.

⁴ - رشيدة شكري معمري، المرجع السابق، ص 70.

⁵ - سعد الله، المرجع نفسه ص 391-393.

والخطابة، والجدير بالذكر أن وظيفة الإفتاء لم تصبح وظيفة رسمية بالجزائر إلا بعد مجيء العثمانيين، حيث كان المفتي الحنفي يتم تعيينه من اسطنبول، أما المفتي المالكي فيعينه الديوان بالجزائر⁽¹⁾.

ونجد عائلة قدورة من أشهر العائلات التي تولت وظيفة الإفتاء المالكي، وعائلة ابن العنابي تولت الإفتاء الحنفي⁽²⁾، وأيضاً من بين المهام التي كانت تسند إلى المفتي هي تحديد أيام العيدين رفقة القاضي⁽³⁾.

ب- القضاء: إن وظيفة القاضي هي وظيفة سياسية ودينية وتأتي بعد الإفتاء من حيث الأهمية لأن القاضي يقوم بالتنفيذ والممارسة لشؤون المجتمع، هذا ما جعل بعض الفقهاء يعتذرون عنها خوفاً من عدم القدرة على القيام بمتطلباتها ونظراً لخطورتها⁽⁴⁾، وكان في كل مدينة رئيسية قاضيين واحد للمذهب الحنفي وآخر للمذهب المالكي وهم بدورهما يشرفان على مجموعة من القضاة في مختلف الأقاليم⁽⁵⁾.

والقاضي هو حكم شرعي له دور هام في المحاكم التي تطرح فيها القضايا المتعلقة بالأهالي سواء كانت مدنية أو اقتصادية تخص المعاملات التجارية ويساعده في مهامه العديد من العدول⁽⁶⁾.

¹ - رشيدة شكري، المرجع السابق، ص 71.

² - سعد الله، تاريخ الجزائر، ج 1، ص 259.

³ - وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص 101.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 394.

⁵ - المرجع نفسه، ص 399.

⁶ - رشيدة شكري، المرجع نفسه، ص 73.

ج- **الخطابة:** وكانت وظيفة الخطابة هي الوظيفة الثالثة في الأهمية، وكان يجب على الخطيب أن يمتلك الفصاحة وجودة الصوت وسعة الاطلاع و الجرأة الأدبية، والخطيب يؤدي صلاة الجمعة وصلاة العيدين لذا كانت هذه الوظيفة محل تنافس بين العلماء شأنها شأن الفتوى والقضاء⁽¹⁾.

د- **الإمامة:** يقوم الإمام بأداء الصلوات ويعوضه علماء مشهورون أثناء غيابه، كما يقوم رفقة المفتي بمسؤوليات المكان الذي يشرف عليه، ففي المساجد الكبرى أين تتوزع المهام على أكثر من شخص يقتصر دوره على أداء الصلاة بالناس، أما المساجد الصغيرة فهو يقوم بجميع المهام الدينية وغالبا ما يقوم بالتدريس⁽²⁾.

هـ- **الكتاب:** كان الكتاب يتمتعون بمستوى ثقافي كبير، هذا ما جعل أغلب الدايات يستشيرونهم في أمور الدولة خاصة فيما يتعلق بالأمور المالية هذا الأخير مكن هؤلاء الكتاب من كسب نفوذ وكلمة مسموعة وامتلاك مكانة مرموقة، فقد كان للداي أربعة كتاب يجلسون على يمينه وهو من يقوم بتعيينهم⁽³⁾، وهؤلاء الكتاب هم:

الكاتب الأول: وهو الذي يشرف على سجل محاسبات الدولة وسجل القوانين العسكرية ومهمة هذا الكاتب في غاية الأهمية وتعتبر كمهنة شيخ الاسلام الذي هو المفتي الحنفي ومن واجب هذا الكاتب الأول أن يعرف القوانين الأساسية والتاريخ وحقوق الانسان حتى لا يقوم بأي عمل ضد القانون، ويلقب هذا الأخير بلقب "أفندي" الذي لا يلقب به سوى الداي والمفتي.

¹ - سعد الله، المرجع السابق، ص 395.

² - رشيدة شكري، المرجع نفسه، ص 74.

³ - المرجع نفسه، ص 74.

الكاتب الثاني: يقوم بالمحاسبات العامة فيما يخص الدولة⁽¹⁾.

الكاتب الثالث: يتولى مهمة تسجيل غنائم البحر ويعتني بسجلات الجمارك.

الكاتب الرابع: يحافظ على سجلات مصالح البايك المتعلقة بالشكاوي الصادرة عن القناصل المقيمين بالجزائر⁽²⁾.

و- **الترجمان:** في أغلب الأحيان كان الترجمان يختار من الأعيان وكان يعمل لتسهيل اتصالات الداى بالأهالي⁽³⁾، ويعمل على ترجمة الأوامر التي يصدرها الباشا أو الرسائل التي تصله.

ز- **الناظر:** هو بمثابة المشرف الرئيسي للأوقاف، يعمل على مراقبة مداخيل الأوقاف وتنظيم اتفاقات المؤسسة الوقفية المسؤول عليها ويتم تعيينه من طرف الباشا في المساجد⁽⁴⁾.

ح- **المدرس:** وظيفة التدريس كانت تابعة لوظائف أخرى، فالمفتي والخطيب كانا يتوليان التدريس، ولكن العكس غير صحيح، وكان مدرسو المدن الكبيرة يعينون من قبل السلطة الحاكمة، أو من الباشا أو من خلقائه في الأقاليم⁽⁵⁾.

¹ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 91.

² - سعيدوني، ورقات جزائرية، ص 230.

³ - حمدان خوجة، المصدر نفسه، ص 76.

⁴ - رشيدة شكري، المرجع نفسه، ص 76.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 396-376.

4- مكانة العلماء:

عرفت فئة العلماء في الدولة العثمانية اهتمام كبير من الباحثين وهذا لما كان لها من مكانة في الدين والسياسة وشؤون الحياة ككل، إذ بلغ اهتمام بعض الباحثين أن جعلها تمثل القسم الثاني من نظم الدولة بعد النظم السياسي⁽¹⁾، كما اعتبر فئة أفراد دفعة العلماء كمرشدين دينيين واجتماعيين يرتبطون بالمجتمع عن طريق التوعية الفكرية والدينية والوقوف في وجه الانحراف السياسي والتعسف الضريبي وهذا ما زاد من قوتهم ومكانتهم⁽²⁾.

وهذا ما تمتع به علماء قسنطينة في العهد العثماني حيث يقول أحد المؤرخين: " كانت قسنطينة على عهد الأتراك...عاصمة دينية وكانت العلماء تتمتع فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام كما أنها كانت عاصمة بعدد كبير من الطلبة يغتربون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخرى ثم يتفرقون في انحاء القطر لينشروا ما اغترفوه من العلوم، إن قسنطينة حقا مبعث نور الجزائر كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم"⁽³⁾.

وعلى ضوء هذا يتبين لنا أن الثقافة في الجزائر قد كانت جهوية اقليمية أكثر منها قطرية عمومية، وأنها كانت محصورة في أشخاص معينين وأماكن محدودة. جهوية اقليمية أكثر منها قطرية عمومية، وأنها كانت محصورة في أشخاص معينين وأماكن محدودة.

هذا وقد حظيت هذه الفئة بالاحترام والتقدير من طرف المجتمع خاصة مع طلبتهم حيث كان أساس علاقاتهم الاحترام المتبادل بينهم لتفانيهم في خدمة العلم والثقافة، لذا كانوا محل إجلال وتقدير وهذا من خلال من كتب "التراجم" ومذكرات العلماء حول مشايخهم، كما أن

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 387.

² - المرجع نفسه، ص 439، 450 .

³ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 52.

الطبقة الثرية والميسورة كانت تقلد أنماط سلوك هذه الفئة وكل فرد منهم اذا استقبل عالما عد شرفا له، كما في بعض المصادر أنه أثناء حملات البايك كان الأهالي يقدمون العلماء أمام "المحلة" حاملين "صحيح البخاري" طلبا للأمن لهم وللسكان وكدليل على الطاعة ودفع الضريبة⁽¹⁾.

وقد أظهر العديد من الحكام اهتماما كبيرا بهذه الفئة خاصة بإقليم بايلك الشرق باعتباره من أهم المراكز الثقافية والعلمية وقد أولى صالح باي احتراما كبيرا ومعاملة حسنة للعلماء والمرابطين فأجزل على ذلك في معاملته الحسنة لهم، وثيقة حررها بنفسه جاء فيها: "ليعلم من يقف على أمرنا أننا أنعمنا على السيد بدر الدين وأخيه المسعود ولدي محي الدين وأولاد الشيخ البركة سيدي الجودي ولا متولي من عمال فلا ينتهك حرمتهم..."⁽²⁾.

وما يمكن أن نقوله عن هذه الفئة أنها كانت نافذة السلطة الحاكمة وهذا من خلال الوظائف التي تقلدها أصحابها من افتاء وقضاء وإمامة وغيرها من الوظائف الدينية التي تعد أجد مجالات التعبير عن السلطة المحلية.

¹ - ناصر الدين سعيد وني، ورقات جزائرية، ص 283-284.

² - فاطمة الزهراء قشي، نوازل الفكون وسجلات العدول، من التراث القسنطيني للمخطوط، معرض في اطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، 2015، ص 53.

الفصل الثاني:

البيوتات العلمية الكبرى في قسنطينة خلال العهد العثماني.

أولاً: بيت الفكون.

ثانياً: بيت ابن باديس.

ثالثاً: بيت ابن القنفذ.

رابعاً: بيت الكماد.

كانت قسنطينة من بين أهم الحواضر العلمية بشرق المغرب الأوسط، وقد برز فيها عدد كبير من البيوتات والأسر العلمية، واحتفظت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني بمكانتها كعاصمة لأكبر اقليم في الجزائر وأغناه ثقافة وتحضرا⁽¹⁾، كما حصلت هذه البيوتات على الجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة.

وكان مجتمع مدينة قسنطينة مجتمعا حضريا متماسكا، وكانت تلعب فيه العائلات العلمية الكبرى، ولاسيما الدينية دورا فعالا ونافذا، فهي التي تنظم العلاقات العامة، فهي التي تنظم العلاقات العامة، وهي التي تعين أو تبارك مشيخة المدينة وتسهر على الأمن من داخل المدينة⁽²⁾...

ومعظم العائلات في قسنطينة تعيش على التجارة والزراعة والعلم، لأن قيمة العائلة كانت في ثرائها العلمي وتنشئة أبنائها عليه من حفظ القرآن إلى تولية القضاء، الفتوى والتدريس...، وهكذا كان الثراء العلمي لكل عائلة مما تعزز وتتفاخر به لأنه طريقها إلى المجد والشهرة والنفوذ.

البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة، وفرت للمجتمع عددا كبيرا من رجال العلم والفقهاء والأدباء، والذين اعتمد عليهم العثمانيون في الوظائف الدينية والعلمية على وجه الخصوص. وتميزت قسنطينة باحتفاظ العديد من بيوتاتها خلال العهد العثماني بأمجادها العلمية التي عرفت بها خلال العهد الحفصي.

¹ - أبو القاسم سعد الله: مقدمة تحقيقه لمنشور الهداية، المصدر السابق، ص 8.

² - أبو القاسم سعد الله: شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 22.

واشتهرت عديد البيوتات باحتكار الوظائف الإدارية والثقافية والتجارية بالمدينة مثل: بيت الفكون، ابن باديس، ابن قنفذ...، واكتسبت هذه العائلات مع الزمن ملامح برجوازية محلية ناشئة⁽¹⁾.

شهدت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني كغيرها من مدن إيالة الجزائر ظاهرة البيوتات، وهذه الأخيرة تعتبر شريان الحياة الفكرية والثقافية، وتجد من أشهر البيوتات العلمية الكبرى بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني:

أولاً: بيت الفكون

أ- النسب: عائلة الفكون من أقدم العائلات في قسنطينة⁽²⁾، بيت علم وأدب ورئاسة ودين، توارث أبناؤها المجد دهر طويل وقرون متتالية بالجزائر⁽³⁾، فالأجداد الأوائل لبيت الفكون والذين ربما يعودون إلى القرن الخامس الهجري مدفونون بقسنطينة⁽⁴⁾. وعائلة الفكون تنتسب إلى بني تميم، حيث يذكرون مع أسمائهم هذه النسبة "التميمي"⁽⁵⁾، وعن نسبهم نجد الغبريني في كتابه عنوان الدراية ذكر أحد أفراد هذا البيت وهو أبو علي حسن بن الفكون الذي عاش خلال القرنين السادس والسابع الهجري وقال فيه الغبريني: "وأصله من قسنطينة من ذوي بيوتاته، ومن

1 - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 253.

2 - أبو القاسم سعد الله، عبد الكريم الفكون داعية السلف، المرجع السابق، ص 37.

3 - حسين بن خلوة، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة السانتيه، وهران، 2008-2009، ص 61.

4 - أبو القاسم سعد الله، مقدمة تحقيقه لمنشور الهداية لعبد الكريم الفكون، ص 7، 8.

5 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 38.

كريم أروماتها"، كما لم يغفل الغبريني بذكره أنه: "من الفضلاء النبهاء وأن الأب كان له من باب الزينة والكمال، ولم يكن يعترف به لإقامة أود أو اصلاح حال"⁽¹⁾.

حضي بيت الفكون بالمنزلة والمكانة الرفيعة والمجد في العهد الحفصي⁽²⁾، وبقيت هذه العائلة تتمتع باحترام واسع خلال العهد العثماني لتحالفها منذ البداية مع العثمانيين، وصارت في خدمة الدين والدولة، فيها مشيخة الاسلام وامارة الحج، ولها امتيازات اقتصادية و معنوية فقد كانت من أغنى الأسر في قسنطينة⁽³⁾.

بيت الفكون بقي محافظا على منزلته ومكانته الرفيعة منذ البداية إلى غاية العهد العثماني، ونجد أحمد المقرري يمدح بيت الفكون في رسالة لأحد أبنائه، وهو عبد الكريم الفكون الحفيد بقوله: "هو العالم الذي ورث المجد لا عن كلاله وتحقق الكل أن بيته شهير الجلالة، بيت بني الفكون، هضاب العلم والوقار والسكون لا زال الخلف منهم يحيون مآثر السلف..."⁽⁴⁾.

ب- علماء بيت الفكون خلال العهد العثماني:

البيت الفكوني يعد من أعرق العائلات القسنطينية وأرفعهم مكانة، وأنجب هذا البيت عدد من العلماء خلال العهد العثماني الذين ساهموا في نهضة قسنطينة الثقافية والعلمية، ومن علماء هذا البيت نذكر:

¹ - الغبريني، المصدر السابق، ص 334.

² - نعيمة بوكريمي، البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي وإسهامها الثقافي، مجلة عصور الجديدة، ع 18، جامعة وهران، الجزائر، أوت 2015، ص 81.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 520.

⁴ - فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013 - 2014، ص 150.

1) أبو زكرياء يحيى بن محمد الفكون (ت 941هـ/1534م):

أبو زكريا يحيى بن محمد الفكون هو جد والد عبد الكريم الفكون (الحفيد)، عاش خلال العهد الحفصي وبداية الوجود العثماني⁽¹⁾، وهو من العلماء المتقنين والمتمكنين في الفقهيات ومن فقهاء قسنطينة، كما شغل منصب الافتاء⁽²⁾، وكان قاضي الجماعة بقسنطينة يستشار أبو زكريا في العلم ويرجع إلى قوله، كان له اطلاع على المدونة، وله عليها حاشية ضمنها نوازل ووقائع قل أن توجد في المطولات⁽³⁾، انتقل هذا الأخير إلى تونس وصاهر أحد مشايخها وهو الشيخ الزلديوي، واستخلفه في امامة جامعها الأعظم بالزيتونة واستقل بالإمامة. وافته المنية في تونس فمات قتيلا "في عام أحد وأربعين"⁽⁴⁾.

2) قاسم بن يحيى بن محمد الفكون (ت 965هـ/1557م):

حين انتقال والد الشيخ قاسم إلى تونس، تولى هذا الأخير إمامة جامع البلاط بها، وكان من شيوخه الشيخ العارف الوزان والشيخ مغوش، قال عنه عبد الكريم الفكون في كتاب (منشور الهداية): "كان العم قاسم ممن فاق عصره في علم المعقول، وكان ممن تصدى للتفسير زمن مشيخة عصره، وناهيك بهم مشيخة فيهم الشيخ الوزان، وحضره وأثنى عليه"⁽⁵⁾، ولما عاد قاسم بن يحيى إلى مدينة قسنطينة أخذ يبيت بها العلم، وكان أعيان العلماء يحضرون مجلسه كالشيخ

¹ - فوزية لزغم ، المرجع السابق، ص 151.

² - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 41.

³ - أحمد بوشريط، ابن الفكون و اسهاماته في التأليف "منشور الهداية" أنموذجا، مجلة العصور الجديدة، ع18، جامعة وهران، الجزائر، 2015، ص91.

⁴ - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 43، 42.

⁵ - المصدر نفسه، ص 43.

يحي بن سليمان الأوراسي والشيخ الوزان⁽¹⁾. عينه باشا الجزائر حسن آغا مترجما للقاضي سنة 1541م⁽²⁾، وتوفي سنة 965هـ وترك من تلاميذه بعض كراريس على توضيح ابن هشام⁽³⁾.

(3) أبو محمد عبد الكريم الفكون (الجد) (ت 988هـ/1580م):

هو أبو محمد عبد الكريم بن محمد الفكون، كان اماما وخطيبا للجامع الأعظم، وله دراية واسعة بعلم البيان وكان خطيبا بليغا وحافظا للأحاديث النبوية⁽⁴⁾. جمع بين العلم والتصوف وتعامل مع الأتراك وذهب على رأس وقد بهام لتقديم بعض المطالب إلى باشا الجزائر⁽⁵⁾. وهناك حصلت قضية المختاري اليهودي، الذي أسلم و التحق بشرطة الباي، ثم سب الرسول-ص- فحكم عليه بالسجن، ولما كان الاستفتاء في أمره أفتى عبد الكريم الفكون بقتله، فتعصبت الشرطة لهذا الاقتاء وهددوا باعتزال الوظيفة إن تم الأمر، ما أدى بالباي إلى عقد مجلس بالجامع الأعظم للنظر في الأمر، فقال الكل بعدم قتل المختاري إلا عبد الكريم الفكون وكان في النهاية أن حكم القاضي بفتواه⁽⁶⁾.

تولى بعض المهام العليا "كمشيخة الإسلام" و"امارة الحج"، وكانت له رواية خاصة للتعليم، تطعم الفقراء والمساكين وعابري السبيل. توفي سنة 1580م بقسنطينة⁽⁷⁾، ودفن بمدرسة الفكون.

¹- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 152.

²- أبو القاسم سعد الله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 15.

³- عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه، ص 43.

⁴- المصدر نفسه، ص 48.

⁵- عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البداية إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005، ص 213.

⁶- فوزية لزغم، المرجع نفسه، ص 155.

⁷- عبد المنعم القاسم، المرجع نفسه، ص 114.

4) أبو عبدالله محمد بن عبد الكريم الفكون (ن 1045هـ/1632م):

هو محمد الفكون والد عبد الكريم الفكون صاحب كتاب "منشور الهداية"، تولى وظيفة الخطابة والامامة بالجامع الأعظم بقسنطينة، وكان ذا سمعة طبية وتعفف، وأوراد وقيام الليل، وكان فقيها صوفيا ويرجع إليه في المسائل والافتاء⁽¹⁾. توفي محمد الفكون أثناء عودته من الحج في مكان بين الحجاز ومصر سنة 1405هـ ودفن هناك⁽²⁾.

5) أبو محمد عبد الكريم بن محمد الفكون (الحفيد) (ت 1073/1662م):

هو أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن يحيى الفكون، علامة الزمان ورئيس علوم اللسان، وفخر المنابر إذا خطب، ولسان المخابر إذا شعر أو كتب، وأحد كبار رجالات الطريقة الشاذلية بالجزائر⁽³⁾، ولد سنة (988هـ/1580م)، وسمي على جده لأنه ولد على اثر وفاته، ويقول الفكون أنه عندما كانت والدته حاملا به سألت جده الدعاء فقال لها: "جعل الله عمارة الدار منك"⁽⁴⁾، ما يعني أنه أول أولاد أبيه محمد.

بدأ رحلة طلب العلم على يد والده في زاوية العائلة وتربى على الثروة والجاه⁽⁵⁾، حفظ القرآن الكريم الذي كان قاعدة التعلم في المغرب الإسلامي آنذاك، وقرأ عن خاله أبي القاسم بن عيسى الملقب بثلجون وهو من قبائل زواوة⁽⁶⁾. وأخذ ينشد العلم حيث وجدته ويتدرج في الحياة

1 - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 52.

2 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 520.

3 - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 214.

4 - سعد الله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 58.

5 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 522.

6 - حسين بن خلوة، المرجع السابق، ص 51.

العامة، ومن شيوخه في قسنطينة نذكر محمد التواتي المغربي الذي أخذ عنه الصرف والنحو وكذلك زكريا يحيى بن سليمان الأوراسي وغيرهم⁽¹⁾.

اكتسب ثقافة متينة واطلاعا واسعا، تولى التدريس بزوايتهم بقسنطينة والتف حول الطلبة والعلماء، وأسندت له الامامة والخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة خلفا لوالده واعتباره شيخ الإسلام⁽²⁾.

وبعد أن نال حظا من المعرفة على شيوخ عصره، جلس للتدريس في الجامع الكبير وزاوية العائلة بقسنطينة، فكان الطلبة يأتونه من مختلف نواحي القطر، ومن المواد التي كانت يدرسها لطلابه هي النحو والتفسير والفقه وعلم الكلام وصحيح البخاري⁽³⁾. وقد تخرج على يده مجموعة كبيرة من الطلاب، من بينهم: ابنه محمد بن عبد الكريم، عيسى الثعالبي، يحيى الشاوي، بركات بن باديس، أحمد بن سيدي عمار وغيرهم⁽⁴⁾.

كان عبد الكريم الفكون متشددا في منح الاجازة، فقليل من أجازهم ومنهم نذكر أبو المهدي عيسى الثعالبي الذي درس عليه في الفترة من (1635-1650م)، وكذلك الشيخ أبو الحسن علي بن عثمان الشريف الذي جاءه من جبل زواوة حوالي 1618م وأجازه أيضا ووصف مستوى تلميذه بقوله: "لم يكن معه قبل قراءته شيء تعتد به من العربية، فلم ينصرف من عندي إلا وهو نجيب فيها فأجزته بعد طلبه"⁽⁵⁾.

¹ - يمينة سعودي، المرجع السابق، ص 57.

² - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 215.

³ - أبو القاسم سعد الله، مقدمة تحقيقه لكتاب منشور الهداية، ص 11.

⁴ - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 157.

⁵ - فوزية لزغم، الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830)، دار عماد الدين، الجزائر، 2011.

كما كان لعبد الكريم الفكون مراسلات كثيرة مع علماء عصره ومن ذلك مراسلته مع سعيد قدورة وأحمد الغرياني التونسي⁽¹⁾.

فعبد الكريم الفكون كان رجلا كما يذكر الحفناوي نقلا عن رحلة العياشي أنه "كان رضي الله عنه في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ومجانبة علوم أهل الرسوم بعد ما كان اماما يقتدي به فيها، وله فيها تأليف كثيرة شهد له فيها بالتقدم أهل عصره وألقى الله في قلبه ترك ذلك والعكوف حضرته بالقلب والقالب والتردد إلى الحرمين الشريفين مع كبر سنه وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم قرأناها لله و تركناها له⁽²⁾".

كما عرفه العلامة الشيخ محمد بن مخلوف بقوله: "الامام العلامة العمدة القدوة الفهامة الجامع بين علمي الظاهر والباطن".

ويقول عنه المقرئ: "عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها وسلالة العلماء الأكابر ووارث المجد كابرا عن كابر المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون"⁽³⁾.

ومكانته هذه قد أكسبت بيت الفكون مستوى راقي ازدانت به قسنطينة، وأصبحت تتمتع بشهرة عالية في ذلك الوقت، وذلك راجع إلى احتضانها مثل هؤلاء العلماء والاسر، توفي عشية يوم الخميس 27 ذي الحجة سنة 1073هـ / 3 أوت 1663م بمرض الطاعون⁽⁴⁾.

¹ - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 215.

² - محمد الحفناوي، الم الصدر سابق، ص 166.

³ - يمينة سعودي، المرجع السابق، ص 58.

⁴ - عبد المنعم القاسمي، المرجع نفسه، ص 216.

لقد خلف لنا الفكون مجموعة من الكتب التي كان يطلق عليها اسم تقييد أو رسائل وكما يبدو أن هذه التأليف ألفها قبل توليه وظائف أبيه. كانت مواضيعها متنوعة. وكذلك كانت له مجموعة من القصائد وله قائمة طويلة من الكتب نذكر منها:

- منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، ألفه بعد 1045.
- محدد السنان في نحر اخوان الدخان، انتهى منه سنة 1025.
- ديوان شعر في مدح النبي.
- شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض⁽¹⁾.
- مجموعة خطب.
- تقييد ذكر فيه مرضه سنة 1025-1028هـ، وقد أشار إليه في كتابه منشور الهداية.
- نظم الدرر على شرح المختصر الذي وضعه على مختصر الشيخ عبد الرحمان الأخضرى.
- شرح مخارج الحروف من الشاطبية في القراءات.
- فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف⁽²⁾.

6) محمد بن عبد الكريم الفكون (ت1114هـ/1702م):

خلف والده عبد الكريم في امامة الجامع الاعظم وفي كل ما لهذه الوظيفة من امتيازات سنة 1663م. كما تولى امارة ركب الحجيج في حياة أبيه بسبب عجز عبد الكريم على القيام بها⁽³⁾.

¹- أبو سعد الله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 146.

²- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 254.

³- أبو سعد الله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 55.

ذكر العياشي في رحلته محمد بن عبد الكريم فقال: "قدمها (إلى طرابلس الغرب) حاجا وهو أمير ركب أهل الجزائر وقسنطينة وتلك النواحي، على نهج أبيه وعادته في ذلك محافظا على سلوك سيرة والده من التؤدة والحلم والوقار"⁽¹⁾.

طال نفوذ محمد بن عبد الكريم في وظيفة أمير ركب الحج الأكثر من أربعين سنة، لكن قوته وتأثيره العلمي لم يكن بدرجة أبيه، ولم يعرف له تأليفات ولم تذكر المصادر السياسية مواقف بارزة له⁽²⁾، غير أنه كان حافظا لمآثر أجداده، واشتهر بكثرة الكتب التي ورثها عنهم، ومن بينها ما قام بنسخه أو جمعة لفتاوى والده وغيره من العلماء، المعروف بـ"توازل الفكون"⁽³⁾.

7) بدر الدين بن محمد الفكون:

خلف بدر الدين والده محمد الفكون سنة 1114هـ في كل وظائفه أيضا. ولكن لم يعرف له أثر علميا أو سياسيا⁽⁴⁾.

8) عبد الرحمان بن بدر الدين الفكون:

تولى عبد الرحمان مشيخة البلد في فترة حكم صالح باي البايك الشرق، وورد اسمه في سجل صالح باي لأوقاف بصفته وكيلًا للزاوية الشرقية التي فيها ضريح الشيخ عبد الكريم الفكون، كما كان ناظرا على أوقاف الحرمين الشريفين بقسنطينة سنة 1787⁽⁵⁾.

¹ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980، ص 255.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 56.

³ - فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص 162.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 56.

⁵ - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 164.

وعبد الرحمان هذا هو الذي تقول الأخبار أنه سحب حمايته عن صالح باي بجذبه برنسه عنه، بعد اتهام السلطة المركزية له بالتمرد والاستقلال، فحكمت عليه بالموت فكان سحب البرنس عنه، يعني الموافقة على تنفيذ الحكم فيه⁽¹⁾.

(9) الشيخ محمد الفكون:

كانت علاقة محمد الفكون مع الحاج أحمد باي آخر البايات طيبة، وجاء ذكر محمد الفكون في رسالة بعثها الباشا إلى قسنطينة جاء فيها: "إلى العالم الأشهر، الخير الأثور، مأوى القليلين، ملجأ الضعفاء والمساكين، العارف بجميع العلوم و الفنون، سيدي الشيخ بن الفكون السلام على مقامكم الرفيع وشخصكم الرائق البديع، ورحمة الله تعالى وبركاته مادام الفلك وحركاته، أما بعد فرانا تستكثروا (كذا) خيرك من شأن وقوفك وصيانتك للبلاد، ونصحك وحمايتك للعباد. فإن ذلك منك معروف، وأنت بكمال الاحسان موصوف، إذ خيرك معنا سابق فبالأحرى أن يكون بالزيادة لاحق، ثم نلتمس منكم الدعاء الصالح الجالب لنا ولكم كل المنافع والمصالح، وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا"⁽²⁾.

كما ورد ذكره في نص عقد بين الحاج أحمد باي وأعيان قسنطينة: "هذا ظاهر كريم وخطاب واضح أمر مبارك عميم...، بحول الله وقوته وعزته، وارانته قد صدر ذلك... من جانب أمير البلد المعظم الأكرم المهام... السيد الحاج أحمد باي... والعالم الخطيب الأصيل أبي عبد

¹ - أبو القاسم سعد الله، شيخ الاسلام، المرجع السابق، ص 56.

² - محمد الصالح بن العنثري، فريدة منسوبة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مرتح: يحيى بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 72.

الله السيد محمد شيخ البلد... " وكان هذا النص أواخر جمادى الأول من عام 1246هـ/نوفمبر 1830م⁽¹⁾.

10 حسين الفكون:

عاش حسين الفكون خلال القرن 18م، وكان يتولى وظيفة عدل بالمحكمة، بالرغم من أن أفراد عائلة الفكون كان يتجنبون الوظائف القضائية⁽²⁾.

يمكننا القول أن عائلة الفكون عائلة عريقة يعود مجدها إلى ما قبل التواجد العثماني بالجزائر، وعظمت العائلة وكثرت امتيازاتها في عهد عبد الكريم الحفيد الذي استحق مشيخة الاسلام. بقي أفراد عائلة الفكون يتقلدون وظائفهم أبا عن جد إلى غاية الاحتلال الفرنسي 1830.

من البيوتات الكبرى المشهورة بمدينة قسنطينة أيضا نجد بيت ابن باديس، والذي بعد من البيوتات العريقة الأصيلة. واشتهرت هذه العائلة بالثروة والجاه وحملت راية العلم، مثل باقي العائلات بفضل علمائها الأجلاء. هؤلاء الذين رفعوا بيتهم لأن يكون من البيوتات الكبرى الشهيرة من خلال جهودهم في نشر العلم، وما خلقوه من تراث عريق تداولته الأجيال جيل بعد جيل.

¹ - محمد الصالح بن العنتري، المصدر نفسه، ص 137، 138.

² - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 167.

ثانيا: بيت ابن باديس

أ- أصل بيت ابن باديس:

يعد بيت ابن باديس هو الآخر من البيوتات الكبرى العريقة والمشهورة بالعلم والثراء بالإضافة إلى الجاه الاجتماعي والروحي وذلك خلال العهد العثماني وحتى قبله. فقد وصف البيت الباديسي في كتاب "منشور الهداية" بأنه: "دار علم وصلاح"⁽¹⁾.

وكانت هذه الأسرة من القدم ذات نفوذ و مسيرة للسياسة والحكم في المغرب الاسلامي⁽²⁾، ويرجع نسب هذه العائلة إلى قبيلة صنهاجة، وهي من أقوى القبائل البربرية في المغرب الأوسط، كان موطنها بعد الفتح يشمل تلال المغرب الاوسط بين الأوراس ومدينة تنس بما فيهم قسنطينة⁽³⁾.

وما يدل على عراققة هذا البيت ما ذكره الفكون في ترجمته لأحد علماء بيت ابن باديس في قوله: "القاضي الخطيب أبو العباس أحمد المدعو حميدة بن باديس، وهو من بيتات قسنطينة وأشرافها"⁽⁴⁾.

¹ - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 210.

² - خالد بوهند، الامام بن باديس ومواقفه في الاندماج، دورية كان التاريخية، ع19، دار ناشري، الكويت، مارس 2013، ص 44.

³ - علال بن عمر، الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (من القرن 7-10هـ/13-16م)، رسالة لنيل شهادة ماجستير، كلية الأدب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2011، ص 206.

⁴ - الفكون، المصدر نفسه، ص 57.

وأضاف المقرئ في رحلته متحدثاً عن أحد علماء هذا البيت: "وسألني سلالمة الأخيار ذو البيت الشهير في الأقطار الشيخ محمد بن باديس القسنطيني"⁽¹⁾.

ما يمكن قوله حول هذه الأسرة انها عرفت منذ القدم بإنجاب العلماء، وحظيت بمكانة مرموقة في المجتمع، ويحدثنا العلامة ابن خلدون في القرن (8هـ/14م)، حول موضوع الاستيلاء على مدينة قسنطينة من قبل السلطان ابن البقاء: "بنو المعتمد وبنو باديس خرجوا للقاءه"⁽²⁾.

ومنذ ذلك الوقت مال شيوخ البيت ابن باديس إلى الدراسات الشرعية، وبرز منهم العلماء في الفقه والحديث.

ب- علماء بيت ابن باديس خلال العهد العثماني:

1) بركات بن أحمد بن باديس:

هو الفقيه الصالح سيدي بركات بن أحمد البادي، عاش خلال القرن 10هـ وربما إلى بداية القرن 11هـ عاصر عدد من علماء عصره كالمفتي يحيى بن محجوبة ويحيى الأوراسي، ومحمد الفكون والد عبد الكريم الفكون

وهو من العلماء الذين عملوا في الافتاء⁽³⁾.

¹- أبي العباس أحمد المقرئ، رحلة المقرئ إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمر، دط، مكتبة الرشاد، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر، 2004، ص 103.

²- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، (دم)، دار الفكر، لبنان، 2000، ص 466.

³- فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية، مرجع سابق، ص 170.

(2) أبو العباس حميدة بن باديس (ت969هـ/1562م)

ولد أبو العباس أحمد بقسنطينة وهو قاض من فقهاء المالكية، مشارك في بعض العلوم، ولي إمامة جامع قسنطينة الكبير ثما قضائها⁽¹⁾، وقال فيه عبد الكريم الفكون في "منشور الهداية": "القاضي الخطيب أبو العباس أحمد المدعو حميدة بن باديس، وهو من بيتات قسنطينة وأشرفها، وممن له الرياسة والقضاء والإمامة بجامع قصبته، وخلق سلف صالحين علماء حازوا قصب السبق في الدراية والمعرفة والولاية..."⁽²⁾.

توفي في عام 969هـ بقسنطينة.

(3) أبو زكريا يحيى بن حميدة بن باديس:

هو يحيى بن باديس ابن أبو العباس المدعو حميدة بن باديس، كان ذا خلق حسن وكثير التواضع، سالم الصدر من النفاق، وكثير القراءة لدلائل الخيرات، ويتلو كتاب الله.

شغل عدة مناصب منها: نائبا عن قضاة العجم في قسنطينة وخطيبا بالجامع الكبير قرأ على يد محمد بن حسن، وكان يقرأ على عبد الكريم الفكون الجد الذي كثير ما كان يستخلفه للصلاة والخطابة⁽³⁾.

¹ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 27.

² - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 57.

³ - المصدر نفسه ص 68، 69.

4) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن باديس (ق11هـ) :

هو محمد ابن يحيى بن باديس، قرأ مع صاحب كتاب "منشور الهداية" على يد الشيخ التواتي، وبعد أن رحل هذا الشيخ صار يقرأ على عبد الكريم الفكون الحفيد، وهو من موثقي البلدة وممن يشار إليه، كان كثير المكاتبة للفكون يكتبه بالمسائل وهذا الأخير يجيبه⁽¹⁾.

5) أبو العباس حميدة بن يحيى بن باديس (ق11هـ):

هو أبو العباس ابن يحيى بن باديس وأخ محمد المترجم له قبله، هو كذلك من أصحاب و أحباب الفكون، كان مخالطاً للأمرء وكاتباً لهم في قسنطينة، وكان أيضاً أديباً، تولى خطابه جامع قسبة مدينة قسنطينة وبعدها استقل بالإفتاء.

شاعت أخبار عن أبي العباسي بأخذ الرشوة، ووصلت الوشاية به إلى حاكم الجزائر أين وصفوه له بأمر لا يحل الوصف بها ولا الخوض فيها، فأغرمه الوالي مالا كثيراً وسجن بعض الوقت⁽²⁾.

6) بركات بن عبد الرحمان بن باديس (كان حيا سنة 1107هـ/1695م):

بركات بن عبد الرحمان بن باديس مفتي قسنطينة ومن مشاهير علماء القرن 11هـ وأدرك القرن 12هـ، ومن أبرز الشخصيات العلمية في منتصف العهد التركي .

أخذ عنه الشيخ عبد الكريم الفكون (ت1073هـ/1662م)⁽³⁾، كان محط رجال العلم الوافدين على قسنطينة، وتتلذذ له العالم التونسي أحمد بن مصطفى برناز والذي هو في الاصل

¹ - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق ، ص 209.

² - المصدر نفسه، مواضع متفرقة، ص 210، 211، 84.

³ - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 127.

مدرس تونسي تركي الأصل وله علم بالتراجم⁽¹⁾، ومن تلامذة الشيخ بركات أيضا: أحمد بن قاسم البوني، وحمدان بن الترجمان... وغيرهم.

له العديد من المؤلفات منها: كتاب مفتاح البشارة في فضائل الزيارة وفي اللغة والنحو كتاب قيد الشوارد في شرح الشواهد، وكذلك شرح لامية الطغراني، وشرح على متن الخزرجية، وشرح على ألفية ابن مالك في ثلاثة أجزاء...

وفي التصوف نجد له عدد من القصائد منها: قصيدة شفاء الأسقام والتوسل بيدر التمام، وقصيدة بضاعة الفقير في البسمة والصلاة على البشير. توفي في بداية القرن الثاني عشر الهجري⁽²⁾.

7) علي النوري بن محمد بن باديس (كان حيا خلال ق12هـ/18م):

الممثل الوحيد لبيت ابن باديس خلال القرن 18م هو علي النوري بن محمد وذلك لأن المصادر الخاصة بتاريخ قسنطينة خلال ذلك القرن قليلة جدا، إذا ورد اسم المترجم له في سجلات المحاكم الشرعية بقسنطينة: "العدل الرضي السيد علي النوري بن السيد محمد بن باديس"، وهو من رجال العلم، إذ لم تكن تسند وظيفة العدالة إلى الفقهاء⁽³⁾.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 324.

² - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 128.

³ - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 174.

ثالثا: بيت ابن القنفذ

أ- أصله ونسبه:

يعد بيت ابن قنفذ من البيوتات العريقة بمدينة قسنطينة، أما فيما يخص أصله فيورد الفكون روايتان في كتابة "منشور الهداية" الأولى: "أنهم من بلد ميلة"⁽¹⁾ ⁽²⁾، ثم ينسبهم مرة أخرى إلى شيخ أبي العباس أحمد الخطيب، وذلك في سياق ترجمته للشيخ أحمد الغربي الذي تولى الافتاء في قسنطينة غير أنه لم يعد يمتلك المؤهلات الكافية لذلك المنصب حسب الفكون: "وأخبرني جمع كثير ممن يقتدى بقوله أنه لا باع له في العلم إلا أن شهرة أسلافه أورثته المنصب المذكور، وينسبون إلى الشيخ أبي العباس أحمد الخطيب".

ورغم عدم وضوح من يقصده الفكون بأبي العباس الخطيب إلا أن أبو القاسم سعد الله يرجح أن المقصود هو أحمد الخطيب المعروف بابن قنفذ المتوفي سنة (810هـ/1407م) صاحب كتاب "الوفيات"⁽³⁾، لأنه ليس في قسنطينة عالم مشهور ذو صيت ونفوذ بهذا الاسم غير من ذكر وشهرته ببيت ابن القنفذ قديمة ولا يعرف لها سبب⁽⁴⁾.

وقد كان هذا البيت ميسور الحال أو بعض أفراده على الأقل، وذلك ما تستخلصه من حديث علي بن حسن قنفذ (ت733هـ/1332م) لابنه عند دنو أجله بقوله: "أبقيت لك عددا من الدور والخبات والأرضيين وغير ذلك مما تعلم..."⁽⁵⁾.

¹ - مدينة صغيرة بأقصى إفريقية بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، وبينها وبين قسنطينة يوم واحد، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 244.

² - الفكون، المصدر السابق، ص 40.

³ - المصدر نفسه، ص 56.

⁴ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 268.

⁵ - ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، المصدر السابق، ص 17.

ويعد الفقيه حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ (ت644هـ/1265م) على رأس بيت ابن قنفذ الذي أسسه على أساس علمي.

وبني قنفذ هم من بطن من أشجع من العدنانية⁽¹⁾، و هم بنو قنفذ بن حلاوة بن سبيع بن أشجع⁽²⁾، اذ يعرفون باسم "ابن القنفذ"، وذهب المؤرخون إلى أن تسمية بني قنفذ هي كنية لأحد أجدادهم الأوائل، ولو كانت غير ذلك لما استطاع أحد علماء الأسرة وهو ابن قنفذ الخطيب (ت810هـ/1407هـ) الاستغناء عن هذه الكنية، لأن ذلك يعتبر تنكراً لأصله وقد رجح ذلك بأن العرب كانوا كثيراً ما يتخذون لألقابهم أسماء حيوانات، ربما لأسباب اعتقادية لديهم⁽³⁾، وهو ما نجده في "الفارسية" حيث يذكر أنه ربما يكون جده الملقب شبيها بهذا الحيوان خُلُقًا أو خَلَقًا.

واشتهار هذه العائلة بهذا اللقب إما بالتعريف: ابن القنفذ أو التتكير ابن قنفذ، والأقرب إلى الصواب هو الأول لأن ابن القنفذ لما ذكر وفاة جده في "الوفيات" ذكره بهذه الصيغة: "علي بن حسن بن القنفذ"، وكما ذكر في "أنس الفقير" عن والده أنه من بني القنفذ⁽⁴⁾.

أما الاسم الجديد الذي يضفي صفة العلم على العائلة هو "الخطيب" فقد كان ابن القنفذ كثيراً ما يذكرها في وفياته عن والده: "وفي هذه السنة (750هـ/1349م) توفي الخطيب والذي حسن بن علي⁽⁵⁾، وبذلك فإن شهرة العائلة بأبن الخطيب ظاهرة السبب، حيث توارث أبناء البيت الخطابة في الجامعة لعدة أجيال متعاقبة، بدءاً بالجد حسن بن علي بن ميمون

¹ - أبو العباس أحمد بن الخطيب ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 39.

² - أبي العباس أحمد القلقشندي، نهضة الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص 404.

³ - فيلالتي عبد العزيز، ابن قنفذ مؤرخاً لأسرته وبلدته، مجلة سيرتا، ع11، جامعة منتوري، قسنطينة، ماي 1998، ص 110.

⁴ - ابن قنفذ، المصدر نفسه، ص 40.

⁵ - أبو العباس أحمد بن الخطيب ابن قنفذ، الوفيات، تح وت، عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983، ص 357.

(ت733هـ/1333م) الذي تولاها مدة ستين سنة أو خمسين سنة، إلى الحفيد أبي العباس أحمد الشهير بابن الخطيب القسنطيني (ت810هـ/1407م) وغيرهم، وقد استعمل هذا اللقب بكثرة في المشرق، حيث كانوا ينعنون بابن الخطيب أو الخطيب من تولى سلفه هذه الوظيفة (1).

وخلاصة القول أن بيت ابن القنفذ ظل محافظا على مكانته الاجتماعية والعلمية منذ بداياته إلى غاية العهد العثماني، ولذلك يعد من أقدم البيوت في قسنطينة وأعرقها، وذلك بفضل الدور العلمي الذي لعبه علماء وفقهاء هذا البيت.

ب- علماء بيت ابن القنفذ خلال العهد العثماني:

1) محمد بن محمد الخطيب الغربي:

محمد بن محمد بن أبي القاسم الغربي الميلي القسنطيني (2)، والده الشيخ العالم سيدي أبو العباس أحمد الغربي، والمترجم له هو شارح رسالة سيدنا عمر بن الخطاب (وهي رسالة في القضاء بعث بها إلى أبي موسى الأشعري)، فشرحها بشرح لم يسبق إلى مثله في وصفه ضمنه جملة من الأحكام التي قل أن توجد في مثله وجمله من التاريخ ومسائل اعتقادية وصوفية وحكايات مستطرفة، وكل ذلك يدل على تبحره في العلم وقيامه بوظيفته (3).

تولى محمد الخطيب الغربي قضاء الجماعة، ولما انتقل إلى تونس في عهد السلطان أبي عمرو عثمان (حكم من 839-893هـ) تولى القضاء هناك أيضا، وفي المجلس العلمي لهذا

¹ - ابن قنفذ، الفارسية، المصدر السابق، 40.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 132.

³ - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 40.

السلطان الذي كانت تدور فيه محاورات العلماء في فنون الشريعة والمواعظ والآداب وغيرها تكلم محمد الغربي القسنطيني على الرسالة ونال بذلك رضى السلطان واعجاب العلماء⁽¹⁾.

من مؤلفات محمد الغربي نذكر: رسالة الافتتاح، حاشية على المقترح⁽²⁾، حاشية على الارشاد، له مسائل في الفوائد رتبها أحسن ترتيب وأخرى في التعليقات دالة ما هو عليه من التحقيق وحسن الترتيب⁽³⁾.

2) ابو الفضل بن محمد الغربي:

هو ابن محمد الغربي يدعى بأحمد الغربي، عاش خلال القرن العاشر الهجري، وكان من فقهاء قسنطينة ومن أهل الشورى والتصدير، أصابه خبل في عقله آخر عمره أقضى الأمر فيه إلى أن سجن بسببه⁽⁴⁾.

3) أبو الحسن بن أبي الفضل الغربي:

هو أبو الحسن ابن أبي الفضل عاش ودرس بقسنطينة، تصدر الافتاء بمدينة قسنطينة زمن عبد الكريم الفكون الجد (ت988هـ)، وتصدى للتفسير، وكان الغالب عليه فن الحساب والتعديل وله مخالطة بالمنطق قال عنه صاحب "منشور الهداية"، وأخبرني جمع كثير مننت

¹ - سعد الله، المرجع السابق، ص 133.

² - هو كتاب (مقترح الطلاب) في الجدل والمناظرة، لأبي المظفر محمد بن محمد بن سعد البروي، أنظر: وفيات ابن القنفذ، ص 286.

³ - الفكون، المصدر السابق، ص 41.

⁴ - المصدر نفسه، ص 56.

يقتدى بقوله أنه لا باع له في العلم إلا أن شهرة أسلافه أورثته المنصب المذكور⁽¹⁾، أي الافتاء.

4) أبو عبدالله محمد القسنطيني (ت1015هـ/1606م):

هو أبو عبدالله محمد القسنطيني الشهير بابن قنفذ من أهل قسنطينة، رحل إلى المشرق وأقام مدة في دمشق، ألف خلالها كتابه "إدرسية النسب في القرى و الأمصار وبلاد العرب"، انتهى منه سنة 1001هـ، منه مخطوطة بالرباط وثانية بالقاهرة⁽²⁾.

5) أحميدة بن حسن الغربي (ت1030هـ/1620م):

هو أبو العباس أحمد المدعو أحميدة بن حسن الغربي، وهو حفيد أبي الفضل المذكور سابقا. كان في بادئ الأمر من المقربين إلى عبد الكريم الفكون (ت1073هـ) هذا الأخير الذي قال في أحميدة: "كان أمي الخطاب والكتابة، لا يعرف طريق الخط ولا يحسن الرسم، غير عارف بالهجاء حتى إن في غالب أحواله يتفقد من يجالسه من أحبائه مكاتبه (أي كتاباته) ليصلح ما فيها من فساد الرسم"⁽³⁾. لكن رغم هذا كان انسانا منصفا يتمنى اصلاح ما أفسده من سبقه من أحوال الشرع.

تولى الإفتاء، وكان معاصرون عند صدور فتواه يعتقدون صدورها من محمد الفكون أو ابنه عبد الكريم لشدة تقربه إليهم.

¹ - الفكون، المصدر السابق، ص 56.

² - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 270.

³ - الفكون، المصدر نفسه، ص 75.

تولى النيابة عن قضاة العجم⁽¹⁾، وفي كبره امتحن من الولايات كثيرا وسجن وأغرم المال عدة مرات، كان يخدم الولايات ويعظمهم ويعطيهم الرشا لدرجة أن اشتكى به العامة لأنه تصرف في حبس مسجد أبي مصباح عبد الهادي⁽²⁾.

توفي بداره في سنة شوال 1030هـ/1620م، وحضر وفاته محمد الفكون⁽³⁾.

(6) أبوراشد عمار الغربي (ت1251هـ/1835م):

هو العلامة الشيخ أبو راشد عمار الراشدي المعروف بالغربي، كان أديبا له الباع الطويل في المعقول والمنقول وشاعر، ولي الفتوى المالكية والخطابة بسيدي علي بن مخلوف، والتدوين بمدرسة الكتاني ثم إلى جامع القصبة، ألف حاشية جليلة على الشيخ ابراهيم الشبرخيتي شارح المختصر، توفي في جمادى الثانية من سنة 1251هـ⁽⁴⁾.

¹ - الفكون، المصدر السابق، ص 75.

² - المصدر نفسه، ص 77.

³ - نفسه، ص 76.

⁴ - محمد الحفناوي، المصدر السابق، ص 285.

رابعاً: بيت الكماد.

يعد بيت الكماد من بين بيوتات قسنطينة البارزة، وهو بيت عربي "خزرجي أنصاري"، وهو من بيوتات الشرف، لذلك كان أحد أبنائه وهو محمد بن أحمد الكماد يضيف إلى اسمه نسبه الحسن، و اشتهر البيت بالعلم والصلاح⁽¹⁾، وتقلد أبنائه منذ العهد الحفصي وظائف مهمة وخلال العهد العثماني تولى عدد من أبناء هذا البيت القضاء والتدريس والافتاء بمدينة قسنطينة جيلاً بعد جيل، وهي قريبة من عائلة الوزان.

ومن علماء بين الكماد خلال العهد العثماني نذكر:

1) عمر الكماد الأنصاري القسنطيني المعروف بالوزان (ت965هـ/1558م):

وصفه الشيخ أحمد المنجور في فهرسته فقال: "هو الفقيه العالم الكبير المتضمن المحقق الراسخ الصالح أبو حفص، كان آية يبهز العقول في تحقيق قنون المنقول والمعقول، من عباد الله الصالحين"⁽²⁾، ويقول ابن شغيب: هو أبو حفص عمر بن عبد الخالق الوزان، نسبة إلى واد الزان ببلد المغرب الأقصى، وربما كان لفظاً-وزان- مشتقاً من الوزن ومعناه القائم بالحق بين الناس واعطاء الميزان حقه لاشتغال سلفه بالتجارة⁽³⁾، وقال عنه الفكون: "شيخ الزمان وياقوتة العصر و الأوان، العالم العارف أبي حفص عمر الوزان"⁽⁴⁾.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 427.

² - يمينه سعودي، المرجع السابق، ص 67.

³ - محمد المهدي بن شغيب، المصدر السابق، ص 140.

⁴ - الفكون، المصدر السابق، ص 35.

ولد بقسنطينة حوالي (906هـ/1502م)، كان والده الشيخ محمد الوزان أمين أموال الدولة المقبوضة على البضائع التي تدخل السوق بقسنطينة كما كانت دارهم محل نزول أمير ركب الحجاج المغاربة عندما يحل كل سنة بقسنطينة.

اشتغل بتحصيل العلوم في مسقط رأسه على أيدي ثلة من أكابر العلماء، حتى أصبح آية في العلوم الشرعية والآلية، من فقه وتفسير وحديث وعربية وفلك وأصول، كما تشهد له بذلك رسالته في القضاء وغيرها من المؤلفات والفتاوى المتداولة بين علماء عصره.

قضى حياته مدرسا بمساجد قسنطينة لا سيما مسجد السيدة حفصة وأكثر العلوم التي كان يدرسها، الأصول والفقه والبيان والتصوف⁽¹⁾.

من تلامذته نذكر: أبو الطيب البسكري، عبد الكريم الفكون (الجد)، يحيى بن عمر الزواوي، شيخ أحمد المنجور، يحيى بن سليمان الأوراسي، محمد الكماد⁽²⁾.

وكان الوزان متمسكا بمهنة التدريس وبعيدا كل البعد عن الوظائف السلطانية، حتى أنه اعتذر عن قبول وظيفة القضاء حين عرضها عليه حسن آغا باشا الجزائر سنة 948هـ، ولخص اعتذاره في رسالة قال فيها: "أنه غير أهل للوظيفة المعروضة عليه، وكون الفترة حرجة في قسنطينة حيث كانت البلاد تمر بأزمة داخلية تتصارع فيها الأسر والمصالح..."⁽³⁾، فهو لم يتولى وظيفة غير التدريس والاشتغال بالعلم والتأليف فيه.

¹ - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 256.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 383.

³ - المرجع نفسه، 384.

له من المؤلفات: كتاب "البضاعة المزجاة، والرد على الشبوية"⁽¹⁾، وهو تأليف فيه الرد على المرابط عرفة القيرواني وصحبه، و"حاشية" على شرح الصغرى السنوسي، "فتاوى" في الفقه والكلام⁽²⁾.

كان للشيخ عمر الوزان مسجد يسمى باسمه، وهو مسجد الأصلي وبه مدرسة وموقعه بالجانب الشرقي من باب الوادي وبجواره عين الماء بقسنطينة.

توفي في 21 شعبان من سنة (965هـ/8 جوان 1558م)، ودفن في مدرسة صهره الشيخ ابن آفوناس، ولا وجود لهذه المدرسة اليوم حيث صدمت بعد الاحتلال الفرنسي⁽³⁾.

2) محمد الكماد (كان حيا في ق10هـ):

هو أبو عبدالله محمد الكماد تتلمذ على يد الشيخ الوزان وله قرابة به، تولى أول أمره منصب قاضي الجماعة بقسنطينة ثم أصبح نائبا على قضات العجم، وكان معاصرا للقاسم الفكون (ت965هـ)، كان معروف بفصاحته وكثير النثر والشعر⁽⁴⁾.

وقد كانت فتاوى محمد الكماد محل اعتبار لدى معاصريه وقد قيد الفكون بعضها في توازنه⁽⁵⁾.

¹ - الشابية: طريقة صوفية شهيرة بالجنوب التونسي وبالشرق الجزائري، تنسب إلى الشيخ أحمد بن مخلوف الشابي التونسي الولي الصوفي.

² - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 342.

³ - عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 258.

⁴ - الفكون، المصدر السابق، ص 44.

⁵ - فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية، المرجع السابق، ص 186.

(3) أبو عبدالله محمد بن محمد الكماد:

هو أخ أبو عبد الله محمد الكماد السابق الذكر، وصاحب كتاب "منشور الهداية" يروي حكاية لهذان الأخوين، هي أن المترجم له الآن وهو أبو عبد الله محمد هو أيضا كان نائبا عن قضات العجم بعد والده القاضي، وكان من عدول البلد وممن له الخطة الوثيقة، وكان أخوه أبو عبدالله المذكور ناظرا على مسجد الشيخ الصالح سيدي عبد الهادي، واستغرق في قبض وجيبة رباعه وأدخل بعضها في مصالحه وقفل عن إصلاح مسجده، فرأى أبو عبدالله محمد المذكور في النوم...وهو بيده فأس يهدم بها بيتهم، فقال للشيخ يا سيدي ما هذا؟ فقال: داري...أهدم داره...(1)، ومن هذا تخلص إلى أن أبو عبد الله محمد استغل أموال المسجد لصالحه الخاص.

(4) محمد بن أحمد القسنطيني (ت1116هـ/1704م):

هو أبو عبدالله سيدي محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني، وكان يدعى في قسنطينة بالكماد(2)، نشأ وتعلم بقسنطينة وكان متمكنا في علوم كثيرة كالمنطق الحديث، الفقه وعلم الكلام، وقد كان أحفظ علماء عصره(3)، درس في زاوية على محمد المقرئ، وفي العاصمة على محمد بن سعيد قدورة(4) وغيرهما، وكان اماما نظارا حافظا للفروع والأصول.

¹ - الفكون، المصدر السابق، ص 77.

² - محمد بن الطيب القادري، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، ج3، مكتبة الطالب، الرباط، ص 144.

³ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 274.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 427.

رحل إلى فاس بغرض الاستزادة في العلم على يد مشايخها، فتصدر بها الإقراء جمع الجوامع للسبكي فأبدع، ما جعل الطلبة يزدحمون عليه، وتوجهت عيون أرباب الدولة إليه فعلت مكانته ومرتبته وشمله درور احسان السلطان⁽¹⁾.

وكان لا يراه الرائي إلا دارسا أو مطالعا أو مقروءا، قليل الكلام، كثير الصمت، يقرأ في الشتاء ويتفرغ في الصيف لمراجعة ما يلقيه في الشتاء.

توفي في 4 محرم من عام 1116هـ/1704م⁽²⁾، وترك تلاميذ من أبرز علماء المغرب في وقتهم مثل محمد بن عبد السلام البناني الذي تحدث عن شيخه في فهرسته، وإدريس بن محمد المنجرة الذي ترجم له أيضا في فهرسته⁽³⁾.

لم يترك محمد بن أحمد القسنطيني مؤلفات نظرا لانشغاله بالتدريس وفي هذا يقول القادري: "له أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهارته واتساع ملكته...ولملازمته التدريس بفاس لم يتفق له التصنيف وإلا فهو أحق به".

ولقي المدعو ابن الكماد مدحا من العلامة الأديب ابن زاكور⁽⁴⁾.

¹ - محمد بن الحاج الصغير الأفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تق وتحت، عبد المجيد خيالي،

ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، 2004، ص 360.

² - محمد بن الحاج الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص 960.

³ - سعد الله، المرجع السابق، ص 428.

⁴ - محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص 155.

(5) علي الكماد وعبد اللطيف الكماد:

وهما من الشخصيات العلمية التي تنتمي إلى بيت الكماد في أواخر القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر الهجريين (17م)، ومن بين علماء قسنطينة الذين درس عليهم العالم التونسي أحمد بن مصطفى برناز⁽¹⁾.

على ضوء ما ذكرناه نخلص إلى أن مدينة قسنطينة عرفت بيوتات وأسر علمية حملت راية العلم وتمكنت من البروز في عدة مجالات، وشهدت ولادة علماء كبار من أبنائها ذوي مكانة علمية وثقافية كبيرة، توارثوا العلم جيلا بعد جيل، وساهموا في اخراج أمة حملت مشعل العلم، وبقيت آثارهم واسهاماتهم الفكرية سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة أو حتى تلك المفقودة محل اهتمام الباحثين والدارسين للاطلاع على هذا الموروث الذي خلفته هذه الأسر.

¹ - سعد الله، المرجع السابق، ص 324.

الفصل الثالث:

بيوتات علمية متفرقة بمدينة قسنطينة

أولا: بيت ابن نعمون.

ثانيا: بيت المسبح.

ثالثا: بيت العطار.

رابعا: بيت ابن جلول.

خامسا: بيت ابن عبد المؤمن

بناء على ما سبق عرضه، يتبين لنا أن مدينة قسنطينة عرفت أسر وعائلات عريقة تقاسمت نفوذ المدينة، وحملت مشعل العلم والمعرفة في المنطقة، ليس هذا فقط بل لعبت دورا فعالا منذ بداياتها في العهد الموحي والحفصي، ولم تتوقف باضمحلال هاتين السلطتين، بل استمر نفوذها مع العهد العثماني، وهذه البيوتات هي: بيت ابن الفكون، بيت ابن باديس، بيت ابن القنفذ، بيت الكماد.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه البيوتات والأسر والعريقة لا تعني أنها هي التي عرفت ميدان التأليف والفكر والمعرفة والتوظيف، بل وجد في المدينة كذلك طيلة قرون خلت أئمة وفقهاء وعلماء وأدباء من بيوتات متباينة، ساهموا بنشاطهم العلمي والأدبي والديني في إثراء الثقافة العربية الإسلامية واستمرار عطائها.

وقد خصصت هذا الفصل للتعريف بالبيوتات والأسر التي ظهرت والبيوتات الكبرى وعاصرت كل من بيت الفكون، ابن باديس، ابن قنفذ... الخ، وحملت معها راية العلم وساهمت بدورها في تنشيط الحركة الفكرية خلال العهد العثماني.

أولا: بيت ابن نعمون

هو من بيوتات مدينة قسنطينة العريقة، ذكره الفكون بقوله: "وهم دار عافية ومن بيتات قسنطينة، وشهرتهم في أسلافهم، بن سيدي نعمون"⁽¹⁾، ينتسبون إلى أولاد نعمون من توابع الحفافة من هنتانة، ولهم زاوية أصلها لأصهارهم أسرة الفكون، فما قام أحد أسلاف بيت

¹ - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 80.

الفكون وهو جدهم أبو عبد الله محمد ببناء مدرسة استقلوا بها ورفعوا أنفسهم عن الزاوية المذكورة لأصهارهم "أولاد بن نعمون"⁽¹⁾.

ومن علماء بيت ابن نعمون نذكر:

1) أبو عبد الله محمد بن نعمون:

هو أبو عبد الله المدعو بكنيته ابن نعمون، وهو نتاج عائلتين علميتين أسرة الفكون وابن نعمون، لأن المترجم له هو ابن أخت عبد الكريم الفكون (الجد)، وجده الأب الفقيه الامام أبو البركات بن نعمون⁽²⁾.

تولى تربية أبو عبد الله منذ صغره عبد الكريم الفكون (الجد) مع أولاده لكونه في حضانة جدته والدة الجد لموت والدته وهو بحال صغر، لا يقوم بوصفها تحقيقا والله أعلم، ولم ينتقل إلى دار أسلافه إلا إلى البناء (الزواج)، حتى أنه من لا يعرفه يقول أنه من أولاد الجد الفكون.

قرأ أبو عبد الله على مشايخ قسنطينة، ومن بينهم خاله عبد الكريم الفكون، واشتغل بعدة وظائف في قسنطينة فكان في صغره من شهود دار القضاء لكن خاله عبد الكريم لم يرض عنه توليه هذه الوظيفة، ويقال "إنه نقص في عينيه إذ ذاك بعد أن كان يعز عليه كثيرا"⁽³⁾، كما تولى خطة الفرائض ومفصلات التركات، والاشراف على صاحب المواريث بعد موت صهره أبي محمد عبد اللطيف المسبح، ثم ترقى لمنصب الفتيا.

¹ - فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص 189.

² - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 80.

³ - المصدر نفسه، ص 82.

قال في شأنه صاحب "منشور الهداية": "وأما العلم فهو أجهل ممن رأيت وأحمق ممن لاقيت، وإن كان يتصدى لإقراء المختصر والرسالة، وأعجب من ذلك تعاطيه لابن الحاجب من نأديه مع جمع عمتهم الجهالة، فلو كان في زمن محتسب لله لكان له معه شأن وأي شأن! يخطب فيها يتصدى له خبط عشواء، ويتجراً على من له الأمر كله، وهو القاهر فوق عباده، ولعمري لا يصلح لأن يقعد بين العلماء فضلاً أن يتسمى بالعلم، أخرى أن يتصدى للتدريس، لكن غباوة الجهل وقلة الحياء من الله وخراب البلد وكثرة العامة هي التي جرّأته على ذلك، وزاده حي المدحة والافتخار"⁽¹⁾.

وأطال ابن الفكون الحديث عن أبو عبد الله ابن نعمون فقال: "فما أقبحه من شخص وما أشأمه على الخليفة من شخص" وقال: "لو تصدى المتصدي لما هو عليه حالا وفعالا لم تسمعه الدفاتر، ولكلت الأقلام ونفذت المخابر"، ويصفه بقوله: "ومن مساوئه تغيير كثير من أحباس البلدة وهتك حرمتها والاغراء على بيعها، فتح عاكفا على بيعها وابتياعها، حتى أن كل من صادفته يد الفقر واضطر يأتيه فيجعل له أشياء يمويه بها على المسلمين في بيع الأجناس"⁽²⁾.

خلف ابن نعمون ولدين أحدهما يسمى محمد والثاني كذلك محمد ولكن لقبه بالتومي، وكان والدهما متكلا عليهما في كثير من وظائفه، وامتحن في ابتداء أمره بسبب ووشي به إلى مدينة الجزائر، لكن محنته لم تطل إذ: "يسر الله في اخراجه بسهولة" وكان خروجه على يد المفتي أبي العباس أحمد المدعو حميدة بن حسن الغربي⁽³⁾.

¹ - عبد الكريم الفكون، المصدر نفسه، ص 87.

² - المصدر نفسه، ص 85-88.

³ - نفسه، ص 82.

ومن الوظائف التي تولّاها نذكر الفتوى التي ترأسها بعد موت أبي العباس أحمد الغربي، وشاركه فيها من غير أن ترأس جماعة منهم أبو العباس أحمد المدعو حميدة، بن أبي زكريا يحيى بن باديس، وبعد مدة حدثت بينهما منافرة، انتهت بعزل ابن نعمون من خطة الفتيا واستقل أبو العباس وحده بها⁽¹⁾.

لكن ابن نعمون ما لبث حتى أخذ الثأر من أبي العباس بن باديس، إذ وشي به عند باشا مدينة الجزائر، فأغرمه والي مدينة قسنطينة، مالا أرهقه وسجنه قليلا⁽²⁾.

ومن خلال سياق كلام عبد الكريم الفكون في كتابه منشور الهداية يفهم أن ابن نعمون كان لا يزال حيا عند تأليف هذا الكتاب سنة 1045هـ/1635م.

2) محمد ومحمد التومي ولدا محمد بن نعمون:

محمد ومحمد التومي هما ولدا أبو عبد الله محمد ابن نعمون، كان والدهما متكلا عليهما في مجلس درسه وكذا في غالب الفرائض وفي غالب الوثائق، ولهم معرفة بمبادئ الفرائض قسمة وبعض مسائل وصايا الصحيح...الخ⁽³⁾.

كان محمد بن محمد ابن نعمون يقرأ مع عبد الكريم الفكون (الحفيد) فيصغره في إحدى حلقات الدرس بقسنطينة وكان ممسكا بكتاب الدرس، ثم كلف عبد الكريم بهذا بدلا من محمد ابن نعمون⁽⁴⁾.

¹ - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 83.

² - المصدر نفسه، ص 84.

³ - نفسه، ص 82.

⁴ - نفسه، ص 109.

ثانيا: بيت المسبح

بيت المسبح من البيوتات العريقة بقسنطينة⁽¹⁾، وينتمي أفرادها إلى بني مرداس، حسب ما أكده عبد القادر الراشدي في كتابه "عقد اللآلئ المستضيئة لنفي ظلام التلبيس" الذي وضح فيه أن أولاد المسبح من بني مرداس بن عوف السلمي⁽²⁾.

ذكر الفكون أربعة من رجال العلم من هذا البيت، منهم الإخوة الثلاثة: عبد اللطيف، حميدة وبركات، وقد جمعتهم علاقة جيدة ببيت الفكون، وهم معاصرون لجده عبد الكريم بن يحيى الفكون، وممن لهم محبة خالصة فيه واخوته⁽³⁾.

1) محمد عبد اللطيف المسبح (ت980هـ/1572م):

هو أبو محمد عبد اللطيف المسبح، قال عنه الفكون: "هو الفقيه المرضي أبو محمد عبد اللطيف المسبح المرداسي نسباً"⁽⁴⁾،

تولى الافتاء بقسنطينة وكان مرجوعاً إليه في وثائق أهلها⁽⁵⁾، درس الفقه، لكن الحساب غلب عليه أكثر من العلوم الأخرى، فقد اشتهر بذلك بين علماء عصره، حيث أنه أكمل شرح الدرة البيضاء لعبد الرحمان الأخضرى، ذكر المسبح أن القسم الثاني والثالث من شرح صاحبها الأخضرى⁽⁶⁾، وهذا ما ذكره الفكون في كتابه منشور الهداية، حيث قال: "ويذكر أن لأبي محمد المذكور شرحاً على درة الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمان في الحساب لم أضفر به، نعم رأيت

¹ - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 47.

² - نعيمة بوكريمي، المرجع السابق، ص 84.

³ - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 193.

⁴ - الفكون، المصدر السابق، ص 46.

⁵ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 297.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 405.

تكملة لشرح الشيخ المذكور منظومته في الفرائض مات قبل إكماله، فتممه أبو محمد المذكور، مقتصرًا على العمل فيه دون التبيين لكلامه⁽¹⁾. كما له في العبادات شرح على مذهب الإمام مالك.

كان لعبد اللطيف بعض المشاركات السياسية، حيث رافق عبد الكريم الفكون (الجد) مع الوفد الذي ذهب إلى مدينة الجزائر سنة 1567م لما قاموا على واليها⁽²⁾. وتوفي بقسنطينة سنة 980هـ/1572م⁽³⁾.

2) حميدة المسبح (ت 981هـ/1573م):

هو أبو العباس أحمد المدعو حميدة، وأخ عبد اللطيف المترجم له قبله، كان من المفتين بمدينة قسنطينة، وممن له الشورى في النوازل، قال ابن الفكون: "كان من المفتين بمدينة قسنطينة ومن ذوي فتياها وممن له معرفة ونباهة، ومن كبار فقهاء المالكية"⁽⁴⁾. توفي حميدة المسبح سنة 981هـ/1573م.

3) بركات المسبح (ت 982هـ/1574م):

هو أبو محمد بركات، الأخ الأصغر للمترجم لهما قبله، من أهل قسنطينة ولد ونشأ بهادرس وأفتى وأخذ عن جماعة من العلماء منهم عبد الكريم الفكون (الجد) الذي أثنى عليه⁽⁵⁾ كان مشغلا بالقراءة والاقراء والعكوف على الدرس والتدريس، فوصفه الفكون "الفق يه النجيب

¹ - الفكون، المصدر السابق، ص 46.

² - المصدر نفسه، ص 48.

³ - الحفناوي، تعريف الحلف، ج2، ص 224.

⁴ - الفكون، المصدر السابق، ص 47.

⁵ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 226.

المشارك"، وكان ممن يقفون على أقولهم، ولا يخرجون عن فتواه في نازلة، توفي بمرض الطاعون سنة 982هـ/1574م⁽¹⁾.

4) محمد المسبح:

هو أبو عبد الله محمد بن الفقيه حميدة المسبح المترجم له من قبل، تولى خطة نيابة القضاء بقسنطينة، وصفه الفكون بـ"عامي القلم والفكر ولا يعرف ما يصلح به وضوءه ولا صلاته".

اتخذ محمد المسبح كتب الوثيقة صناعة (التوثيق) على ما فيها من فساد وفساد علما ورسمًا وضعف الدين، وهو أول من أظهر الغرامة على خطة النيابة، أعطى مالا لقضاة العجم حتى ولوه عليها.

كان موسوما بالرشى مغموصا بشهادة الزور، وتفهم من خلال سياق الكلام في كتاب "منشور الهداية" أن محمد المسبح كان متوفي عند تأليف الكتاب سنة 1045هـ/1635م، أي توفي قبل هذا التاريخ⁽²⁾.

5) محمد بن المسبح (ت1242هـ/1826م):

هو العلامة الجليل الأديب، الواعظ الخطيب، قاضي السادة الحنفية ببلد قسنطينة، كان أديبا بليغا عارفا بالعربية واللغة والحديث مطلعا على علله، مشاركا في فنون من العلم جليلة، خطيبا مصقعا، فارس المنابر رقيق القلب، كثير الخشوع، له باع مديد في صناعة الخطابة

¹ - الفكون، منشور الهداية، ص 47.

² - المصدر نفسه، ص 90.

والانشاء، ذو صوت حسن فائق، وتذكير مؤثر رائع، لذا وعظ لين القلوب وأزال الكروب، ولم يكن في زمانه وبعده مثله⁽¹⁾.

وقد كان محمد بن المسبح من تلاميذ عبد القادر الراشدي، مالكي المذهب، إلا أن عثمان باي حوله إلى المذهب الحنفي، و ولاه الخطابة بجامع سوق الغزل⁽²⁾، وولي قضاء الحنفية بقسنطينة مرارا، وتوفي سنة 1242هـ⁽³⁾.

ثالثا: بيت العطار.

بيت العطار من البيوتات العلمية الشهيرة بقسنطينة، ويصف ابن الفكون، أحد أفرادها بـ"الأوراري نسباً"⁽⁴⁾، وقد أنجب هذا البيت عددا من رجال العلم منهم:

1) أبو القاسم العطار:

هو الفقيه المفتي أبو القاسم العطار، كان معاصرا لعبد الكريم الفكون (الجدة) ومفتيا في زمنه، تصدر للإقراء والتدريس ودخل الشورى في جملة من أهل عصره. أصيب بالعمى في آخر عمره ولزم الدار إلى أن توفي⁽⁵⁾.

¹ - محمد الحفناوي، ج1، المرجع السابق، ص 296.

² - عبد القادر الراشدي، المصدر السابق، ص 24.

³ - محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص 296.

⁴ - الفكون، المصدر السابق، ص 56.

⁵ - المصدر نفسه، (ص،ن).

(2) أبو عبد الله بن العطار:

هو أبو عبد الله المدعو بكنيته ابن العطار، وكان من أهل الخطة التوثيقية، وصاحب خط حسن، حيث كان منتهى العام والخاص في الوثائق، وملجأ الخاص في عقود الأنكحة وكتب رسوم الاشراف لحسن خطه وصناعة تزويقة، صاحب نباهة وحذق وفطنة.

كثيرا ما كان ابن العطار في كبر سنه يسأل صاحب كتاب "منشور الهداية" عن اصلاح رسمه أو عن رسم بعض ألفاظ الوثيقة أو اعرابها رغم حداثة سنه⁽¹⁾. توفي قبل سنة 1635م.

(3) أحمد العطار:

هو أبو العباس أحمد العطار وابن عم أبو عبد الله المترجم له قبله، وصفه الفكون بـ"ضعيف العقل يزعم زعما أنه على ثقة من العلم ويبالغ في ادعائه، ولا معرفة عنده ولا ادراك بما يحفظه إلا ما ينقه مسطرا، وربما يأتي به في غير محله".

كان معروفا بالضرب على الخطوط، ويأوي إلى جماعة الفقراء-الصوفية- ويجتمع معهم في ليالي مخصومة كليلة المولد وليلة الجمعة، ويذكر لهم أنه شيخهم ويثني على نفسه بأنه من الأولياء ويزعم أنه ظهرت له كرامات...، فصار الناس يجالسونه للسخرية منه⁽²⁾، توفي قبل سنة 1635م وهي السنة التي أنهى فيها الفكون كتابه منشور الهداية.

¹ - الفكون، المصدر السابق ، ص 90،91.

² - المصدر نفسه، ص 91،92.

رابعاً: بيت ابن جلول

يعد بيت ابن جلول من البيوتات الكبيرة بمدينة قسنطينة، إذ كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها الخاصة، وعائلة ابن جلول واحدة من هذه العائلات، وعرفت زاويتها باسمها "زاوية أولاد جلول"⁽¹⁾.

وهي من أكبر العائلات التي توارثت خطة القضاء الحنفي، وكتابة العدل بقسنطينة في عهد صالح باي وبعده، وارتبطت عائلة ابن جلول بعلاقة متينة مع صالح باي حتى أنه تصاهر معهم⁽²⁾. ومن أبرز علماء هذا البيت خلال العهد العثماني:

1) شعبان ابن جلول:

يعتبر شعبان ابن جلول من أشهر علماء عائلته بقسنطينة، اشتغل في التعليم بمدينة، كما تولى منصب قضاء الحنفية فيها⁽³⁾.

ورد اسمه كقاضي للحنفية بقسنطينة في الوثائق، فبعضها مؤرخ بسنة 1190هـ/1776م، لكن ختمه الذي ختمها به يحمل تاريخ سنة 1179هـ/1765م، مما يعني أنه كان قاضيا للحنفية منذ تلك السنة، كما وجدت إحدى تقييداته لأحد الوثائق بصفته قاضيا للحنفية في سنة 1206هـ/1791م⁽⁴⁾.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 265.

² - فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر، المرجع السابق، ص 197.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 325.

⁴ - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 197.

(2) أحمد بن جلول:

ذكر اسمه كمفتي بمدينة قسنطينة في وثيقة تعود إلى سنة 1190هـ/1776م وذلك أيام صالح باي⁽¹⁾.

خامسا: بيت ابن عبد المؤمن

يعد بيت ابن عبد المؤمن من البيوتات العريقة بمدينة قسنطينة، ويعود أصل هذا البيت إلى مرابطي الساقية الحمراء، تراجعت مكانتهم خلال العهد العثماني مقارنة بما كانت عليه خلال العهد الحفصي نتيجة الخلاف الذي وقع في قسنطينة بين أنصار العثمانيين (عائلة ابن الفكون) وخصومهم، وكان بيت عبد المؤمن من خصومهم، ولكن لمكانته الدينية وكثرة أتباعه بنيت له زاوية تعرف بزاوية عبد المؤمن ومسجدا أيضا، وقد جدها سنة 1138هـ صالح خوجة بن مصطفى الذي تزوج من بيت عبد المؤمن⁽²⁾.

وانتقلت امانة ركب الحج من عائلة عبد المؤمن إلى عائلة الفكون، لكن رغم هذا لا نجد في كتابات الفكون التي تعرض بالتفصيل إلى أهل القرن السادس عشر والسابع عشر أية اشارة تعريضا أو تصريحاً فيها مس من قيمة عائلة عبد المؤمن⁽³⁾.

¹ - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 198.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 264.

³ - أبو القاسم سعد الله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 23.

وجاء ذكر اسم أحد أفراد بيت عبد المؤمن في كتاب "منشور الهداية" فقال: "فأنعم له بحمله له حبيبنا محمد حفيد الشيخ، عبد المؤمن"⁽¹⁾، لأن محمد بن عبد المؤمن هو الذي كان أمير ركب الحج قبل أن تؤول إلى بيت الفكون.

وحسب بعض المصادر فإن أولاد عبد المؤمن ثاروا بقسنطينة في سنة 1053هـ/ أكتوبر 1642م، وحملوا السلاح ضد الجنود الأتراك الذين اعتدوا عليهم، ودامت المعركة يومين في شوارع المدينة، وكان عدد القتلى كبيرا من الطرفين، خاصة من أولاد عبد المؤمن الذين بلغ عدد قتلهم أربعة وعشرون شخصا، ما جعلهم يعتصمون بحيهم في الجابية، وحاصره الجنود الأتراك، فتدخل شيخ البلد وآغا النوبة والقاضي، وتم الاتفاق على أن ينسحب الجنود الأتراك إلى ثكناتهم ويعاقب الجناة من الجانبين⁽²⁾.

¹ - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، المصدر السابق، ص 102.

² - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 200.

الفصل الرابع:

المكانة الاجتماعية للبيوتات العلمية خلال العهد العثماني

أولاً: علاقة العلماء والبيوتات العلمية بالسلطة الحاكمة

- 1-أسباب التقارب بين العلماء والعثمانيين
- 2-وسائل السلطة في التقرب من البيوتات العلمية
- 3-أسباب القطيعة بين السلطات والعلماء في أواخر العهد العثماني
- 4-علاقة السلطة بالبيوتات العلمية

ثانياً: علاقة البيوتات العلمية ببعضها والمجتمع

- 1-علاقة الصداقة بين البيوتات العلمية
- 2-التنافس بين البيوتات العلمية
- 3-مكانة البيوتات العلمية ودورها الاجتماعي
- 4-امتيازات البيوتات العلمية .

خلال العقد العثماني كانت المناصب السياسية والعسكرية من نصيب العثمانيين، الذين احتكروها لصالحهم، إلا أن الجاه والنفوذ اللذان تمتعت بهما بعض بيوتات العلماء والمرابطين ورجال الدين جعلت السلطة تلجأ إليهم كوسطاء سياسيين، ولكن كان عليها أولاً أن تكسب ولاء تلك البيوتات، وتذخرها لوقت الحاجة.

وفي هذا الفصل نتناول أولاً العلاقة بين البيوتات العلمية والسلطة العثمانية، ثم نتناول ثانياً العلاقة بين البيوتات العلمية ذاتها ومكانتهم الاجتماعية.

أولاً: علاقة العلماء والبيوتات العلمية بالسلطة الحاكمة.

منذ التحاق الجزائر بالدولة العثمانية إلى غاية انتهاء الحكم العثماني بها سنة 1830م، عرفت علاقة العلماء بالسلطة الحاكمة مرحلتين، تمتد المرحلة الأولى من بداية الوجود العثماني بالجزائر إلى نهاية القرن الثامن عشر، وكانت مرحلة تقارب حيث قربت السلطة العثمانية الحاكمة العلماء ورجال الدين منها.

أما المرحلة الثانية فكانت في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بعد أن تدهور وضع البلاد وتأزمت الوضعية الاقتصادية ما جعلهم يغيرون سياستهم مع فئة العلماء ورجال الطريقة... إلخ

1) أسباب التقارب بين العلماء والعثمانيين.

بعد دخول الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية، كانت مهمة بسط العثمانيين لنفوذهم على كافة أرجاء الجزائر وتوحيدها تحت سلطة مركزية واحدة لم يكن بالأمر الهين، ما دفعهم إلى إيجاد أطراف فاعلة في المجتمع لتساعدهم في هذه المهمة.

كانت العلماء يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني وعلى صلة وثيقة بالناس، ⁽¹⁾ فأدرك العثمانيون قدرة العلماء والمرابطين في التأثير على العامة، ولهذا عمدوا إلى التقرب منهم، والرفع من شأنهم واحترامهم والأخذ برأيهم، ولم ينفك دور العلماء بعد بسط نفوذهم على البلاد بل بقيت العلاقة جيدة بين الطرفين لأن السكان كانوا يتقنون في العلماء ورجال الدين أكثر من رجال السياسة ⁽²⁾

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص409.

² - فوزية لزعم، المرجع السابق، ص473.

وكان العامل المشترك بين الطرفين وهو الدين الإسلامي والجهاد من أجل القضاء على العدو الواحد، كان السبب الرئيسي الذي جعل العثمانيين يبحثون عن حلفاء لهم في الجزائر ضمن الفئات والأفراد الذين يؤمنون مثلهم، وكان رجال الدين والعلماء هم هذه الفئة، ومن ثمة بدأت علاقة التقارب والتحالف (1)

وقد لعب العلماء دورا هاما في الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، وتعبئة الناي، لأن العثمانيين لم يتمكنوا من رد الهجمات المسيحية دون السكان المحليين، الذين كانوا يشكلون النسبة الكبرى في الجيش أثناء الحملات على المسحيين (2)

وفي ظل الجهاد طيلة القرون الثلاثة الأولى تقريبا عاملا مهما في توثيق العلاقة بين الحكام والسكان، ولهذا كانت شعبية كل داي أو بأي تتحدد باهتمامه بالجهاد وظلت العلاقة الحسنة بين العلماء والحكام إلى ان أصابها التدهور بعد الفتح الثاني لمدينة وهران، وطرد الإسبان منها بشكل نهائي سنة 1792م.

ومن العوامل التي ساهمت في توثيق صلة العثمانيين بالعلماء هي المعتقدات الدينية للعثمانيين التي أحدثت التقارب بين الطرفين، حيث أن العثمانيين حملوا معهم سلوكياتهم بتبجيل المرابطين والتبرك بهم (3)

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص191.

2 - خير الدين بربروس: مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص70.

3 - أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص61

2) وسائل السلطة في التقرب من البيوتات العلمية:

عمل العثمانيون على كسب العلماء والمرابطين لإدراكهم بأهمية هذه الفئة وقوة تأثيرها في المجتمع، ومن الأساليب التي استعملتها السلطة الحاكمة هذه الفئة إلى جانبها:

• احترام العلماء والمرابطين:

بالغ العثمانيون في إظهار الاحترام للعلماء والمرابطين الأحياء، وأيضاً تقديس أضرحة الأموات منهم، وكان رجال السلطة يوجهون رسائل التقدير والاحترام إلى هذه الفئة.

والبحار العثمانيون كانوا يذهبون عند خروجهم للغزو إلى الأولياء والصالحين لنيل بركاتهم، وكانوا يطلقون من البحر عند ذهابهم وأياهم طلقات مدفعية معينة احتراماً لهم، وإذا هرب منهم أحد الجناة إلى قبة أو ضريح وفي فإن اللاحقين به يتوقفون عند ذلك ولا يتابعونه وكان العثمانيون يتقربون إلى المرابطين بمختلف الطرق كبناء الزوايا والوقف عليها⁽¹⁾.

• منح الامتيازات:

تمتع رجال الدين والعلماء والمرابطين بامتيازات مادية ومعنوية منحهم إياها السلطة العثمانية، وكان أفراد الفئة كلما له نفوذ قوي، كلما كانت امتيازاته أكثر، وجل المستفيدين من هذه الامتيازات من بيوتات علمية ودينية بارزة ومن هذه الامتيازات إعفاء من ضرائب، ثورية الوظائف الدينية... إلخ⁽²⁾

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 468-469.

² - فوزية لزعم، المرجع السابق، ص 477.

• المصاهرة:

انتهج الحكام العثمانيون طريقة المصاهرة لتقوية صلتهم بالبيوتات العلمية، الدينية لأن حق القرابة مقدس " كما أنهم يولون الأجانبين الذي ينضم إليهم برابطة الزواج تأييدا وحماية لا رجعة فيهما (1)

وصاهرا عدد من بايات قسنطينة أسرا علمية ودينية نافذة وهذه الأخيرة اكتست نفوذا دينيا وحربيا كبيرا جعل السلطة تتحالف معها.

• التعاضي عن التجاوزات:

كان رجال الدولة أحيانا يشترون صمت المرابطين بالتعاضي عن أعمالهم ولو كانت مضمرة بالأخلاق العامة وحتى الدين، وكان بعض المرابطين وال دراويش يرشون الولاية ونحوهم ليسكنوا عن ابتزازهم لأموال الناس والتعدي على الحرمات والأعراض. (2)

(3) أسباب القطيعة بين السلطة والعلماء في أواخر العهد العثماني:

عرفت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني للجزائر اضطرابا في الأوضاع بصفة عامة، خاصة الوضع الاقتصادي بقلّة الموارد البحرية وافتراغ الخزينة، ما جعل السلطة تغير في أساليبها للسيطرة على الوضع، وأيضا تغيير الأسلوب مع العلماء والمرابطين مما عكر العلاقة بينهم، وفتح باب التمردات على مصراعيه.

¹ - أحمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص18.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص470-471.

وأراء العلماء تشهد على السياسة الخاطئة التي انتهجها العثمانيون آخر عهدهم بالجزائر، كقول مسلم بن عبد القادر: "إن العثمانيين لم يكونوا أهلا للحكم في أواخر حكمهم ... وحكموا البلاد ثلاثين سنة ولم تكن سياستهم فيها رشيدة، ولا كان حكمهم فيها عادلا على العموم فكان من الطبيعي أن يكثر المنافقون والثائرون عليهم ..."⁽¹⁾

ومن الأسباب التي أدت إلى تدهور العلاقة بين السلطة والعلماء:

- **تصفية الاحتلال الإسباني من الجزائر:** منذ الاسترجاع النهائي لوهـران سنة 1970م، لم يعد هناك دافع للجهاد، وأصبح من المهم التحالف بين رجال الدين والعثمانيين، خاصة مع اهمال العثمانيين ولأغلب مجالات الحياة، والتركيز على حفظ الأمن داخليا وخارجيا فقط⁽²⁾
- **السياسة الضريبية:** كان مردود الغزو البحري يشكل نصف مداخيل الخزينة الجزائرية، ومن غنائم ورسوم مفروضة على الدول الأوربية من أجل حق ممارسة الملاحة في البحر الأبيض المتوسط، ولما بدأ مردود هذه البحرية في الانخفاض نتيجة تقهقر البحرية أواخر القرن الثامن عشر، تناقصت مداخيل الخزينة، فتوجه الحكام نحو مضاعفة الضرائب على السكان، لسد عجز الخزينة ما أدى إلى ارهاق كامل السكان.⁽³⁾

¹ - مسلم بن عبد القادر: أنيس الغربي والمسافر، تح: رابح بونار: الشكرة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، الجزائر، 1974، ص55.

² - فوزية لزعم، المرجع السابق، ص480.

³ - ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط3، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص66.

وقد وقف أحمد الشريف الزهار أسلوب الحكام العثمانيين في استخلاص الضرائب، والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهي أموال المسلمين، وما صار هذا حتى أصبح الناس من فجارا، والأمراء ظالمين. (1)

• **تقليل امتيازات العلماء والمرابطين:** لجأ بعض الحكام العثمانيون أواخر العهد العثماني إلى سحب الامتيازات من بعض العلماء ورجال الطرق الصوفية، خاصة الأراضي التي أقطعوها لهم، خاصة في عهد صالح باي فهو من أكثر الحكام اعتمادا على هذا الإجراء، حيث طالب الزوايا بالتراجع عن بعض امتيازاتها، لكنها رفضت الأمر الذي جعله يشن حملات ضدها، (2) مما أحدث قطيعة بين هذه الفئة وبين السلطة، وحرصوا الرعية ونزعم رجال الطرق الصوفية حركات التمرد والثورات.

• **الضغط على رجال العلم والدين:** من أبرز مظاهر القطيعة بين العلماء والسلطة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني تتكيل بعض الحكام برجال الدين والعلماء والمرابطين، خاصة قادة الطرق الصوفية (3) واشتهر عدد من البايات بالتكيل بالعلماء ورجال الدين كالباي الحاج خليل الذي حاول قتل بعض العلماء (4).

1- أحمد الشريف لزهار، المصدر السابق، ص35.

2- رشيدة شدرى معمرى، المرجع السابق، ص147.

3- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 ص214.

4- بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح يحي بوعزيز،

ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1990، ص287.

4) علاقة السلطة بالبيوتات العلمية:

رغم التحول الذي مس العلاقة بين رجال الدين من علماء ومرابطين، إلا أنه لم يؤثر إلا بشكل طفيف على العلاقة بين السلطة والبيوتات العلمية والدينية، لأن هذه الأخيرة بقيت موالية للسلطة وهذه بدورها استمرت في سياستها معها وهي التقرب من البيوتات الأكثر نفوذاً ومنحها امتيازات مختلفة.

وإذا حدث أن قامت السلطة بإجراء ضد أي عالم من أبناء تلك البيوتات، فإن ذلك لا يشمل كل بيته⁽¹⁾ وحتى إذا وقع نفور من أحد الطرفين أو معاملة غير جيدة فذلك يعود إلى تصرف الافراد في فترة معينة، وليس إلى العلاقة في حد ذاتها⁽²⁾.

والعلاقة بين العلماء والسلطة تختلف من منطقة لأخرى، كما الأدوار السياسية لتلك البيوتات تتغير من منطقة لأخرى، فالأدوار السياسية لبيوتات مدينة الجزائر تختلف عن أدوار غيرها، لأنها عاصمة البلاد فقد كانت قبضة السلطة عليها قوية جداً، ولهذا اقتصر الدور السياسي لبيوتاتها على البعثات الدبلوماسية، أما منطقة الغرب فلم تكن القبائل به قوية ومتمردة وهذا لم تلعب بيوتاتها أدواراً سياسية كبيرة، في حين كانت أدوار بيوتات الشرق فعالة جداً لحاجة الدولة للتحالف مع هذه البيوتات واستعمالها فعالة لإحكام سيطرتها على البايك⁽³⁾.

تمتعت البيوتات العلمية بوضع مريح مقابل حيادها عن الأمور السياسية، وبعدم تدخلها إلا لإرضاء السلطة، ومن مظاهر حسن العلاقة بين السلطة والبيوتات هو تعيين علماءها في

¹ - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 483.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 409.

³ - فوزية لزغم، المرجع نفسه، (ص ن)

المناصب الدينية والعلمية كالإفتاء والقضاء والخطابة بالجوامع الكبرى وحرصها على بقاء هذه المناصب في البيوتات النافذة والموالية لها.

ونجد هذا الأمر في مدينة قسنطينة، حيث كان البايات على علاقة طبيعة ببعض العلماء، فقد كانت أسرة الفكون وابن باديس وابن جلول محل ثقة واحترام البايات كما كان البايات يشاركون البايات في السراء والضراء فهم يهنئون الفائز ويعزون المحزون وغير ذلك من المواقف التي تحافظ على العلاقات الودية بين الطرفين.

والاحترام التي تبديه السلطة الحاكمة لأبناء البايات العلمية سرعان ما يختفي، عندما يقترب هذا الحاكم أو المرابط من أمور الدولة، وقد يدفع العالم حياته ثمنا لذلك كغيره من الناس ولو بمجرد الشك (1).

ولا يستثنى في ذلك حتى الموالين لهم من أبناء كبار البيوتات العلمية والدينية ففي حال تدخلهم في أبسط شؤون الدولة يتعرضون للعقاب كغيرهم، ومن امثلة ذلك ما تعرض له الفقيه ابن عم الشيخ محمد بن عبد الكريم الذي طلب من الداى شعبات طلاق سراح بعض المساجين بقسنطينة، وقدم له مبلغا من المال مقابل ذلك، إلا أن الداى رفض ذلك، وبعد فترة سجنه هو الآخر، ولم يقبل شفاعته ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الكريم الفكون الذي توسط له رغم المكانة التي يتمتع بها (2).

¹ - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص484-485.

² - رشيدة شدرى معمر، المرجع السابق، ص109.

ثانيا: علاقة البيوتات العلمية ببعضها البعض.

لعبت البيوتات الكبرى وفي مقدمتها العائلات الدينية دورا فعالا داخل المجتمع⁽¹⁾ وكانت دائم لتعزيز مكانتها الاجتماعية، وذلك لأن قيمة العائلة كانت في ثرائها العلمي الذي يقوم على تخفيض القرآن الكريم لأبنائها، وتولى المناصب الرفيعة والسامية تتطلب رصيда علميا عزيزا كالقضاء والفتوى والتدريس، واعتناق التصوف الديني الذي بدوره ساهم في بناء الزوايا .⁽²⁾

1) علاقة الصداقة بين البيوتات العلمية:

كانت البيوتات بعض تتواصل مع بعضها البعض وارتبطت بينها علاقة صداقة متينة عن طريق تبادل الزيارات والمراسلات، التي هي شكل من أشكال التواصل الاجتماعي والعلمي وكانت مواضيع هذه المراسلات، التي هي شكل من أشكال التواصل الاجتماعي والعلمي وكانت مواضيع هذه المراسلات اخوانية وفتاوى واجازات وتقارير ... إلخ ففي ظل غياب تحفيز السلطة لرجال القلم، كانت هذه الروابط تؤدي دورا كبيرا في دفع العلماء للمضي قدما في الاستعادة من العلم، كما لعبت المصاهرات دورا فعالا في تمتين العلاقات الودية بين البيوتات.⁽³⁾

ومن الأمثلة عن علاقة الصداقة بين بعض البيوتات، نذكر علاقة بيت الفكون وبين ابن باديس بمدينة قسنطينة، حيث أن عبد الكريم الفكون في كتاب "منشور الهداية " ذكر كثيرا أفراد من عائلة ابن باديس ووصفهم بصفات دالة على صداقة العائلتين وهن أمثلة ذلك عند حديثه عن أبو العباس المدعو حميدة بن باديس المعاصر له وصفه " من أصحابنا وأحبابنا ولما تغبرت

¹ - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق ص22.

² - نعيمة بوكريمي، المرجع السابق، ص85.

³ - فوزية لزعم، المرجع السابق، ص564

العلاقة بينهما قال الفكون " وأبتهل إلى الله في خلواتي وجلواتي أن يرده إلى منصب آبائه وأسلافه، ويقصد الفكون بالمنصب هو العلم، وإلا فعائلة ابن باديس قد تقلدت أمور الدولة في الماضي أيضا (1)

وكثر في قسطنطينة ظاهرة تصاهر العائلات المعروفة بالوجاهة وهي شكل من أشكال علاقة الصداقة بين البيوتات ومن أمثلة المصاهرة نجد عائلة الفكون وابن باديس وابن نعمون وابن المسيح كانت مثالا لعلاقة المصاهرة بين البيوتات.

ونجد عائلة الفكون صاهرت أسر علمية ودينية بارزة، ومن ذلك مصاهرة " مزوار الشرفاء الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الشريف الحسني " وهو جد الشيخ عبد الكريم فكون الحفيد لأمه، وقد أشار إليه عدة مرات في " منشور الهداية " كقوله: " وجدي للأُم مزوار الشرفاء إذ ذلك " وكان جده ممن تصدر الافتاء في عصره (2)

وصاهرت عائلة الفكون عائلات علمية أخرى، كعائلة ابن الغربي، حيث كان عبد الكريم الفكون متزوجا من ابنت الشيخ أبو العباس أحمد المدعو أحميدة بن حسن الغربي وذلك من خلال قوله في منشور الهداية: " صاهرني بابنته وبقيته وبقيت عندي ما يقرب الثلاث سنين، إلى أن وقع منها أمور لا يمكن إبقاءها مع ذلك (3)

¹ - عبد الكريم الفكون، المصدر، ص210.

² - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، المصدر السابق، ص68.

³ - الفكون، المصدر نفسه، ص76.

كما صاهرت عائلة الفكون أسرة علمية معروفة وهي عائلة ابن نعمون، حيث كان أبو عبد الله ابن نعمون هو ابن أخت عبد الكريم الفكون الجد. (1)

ومن الأسر العلمية المعروفة بالوجاهة في قسنطينة أسرة ابن باديس، فقد صاهرت مزوار الشرفاء وهو جد عبد الكريم الفكون الحفيد لأمه، بحيث كان ابن أبو العباس حميدة ابن باديس متزوجا من خاله عبد الكريم الفكون الحفيد، والنص كما ورد في منشور الهداية: "... يموت زوج ابنه، وكانت أخت والدتي، وتركها اخوتها جدي إلى نظري، ولم تزل والدتهم كنفي أدب عليها بما أقدر عليه، فصاهرته الأم بالابنة المذكورة ... " (2)

وتعد أسرة ابن الكماد هي الأخرى من الأسر العلمية العريقة بقسنطينة، ومن أمثلة مصاهراتها نذكر مصاهرة الشيخ عمر بن محمد الكماد المعروف بالوزن لأسرة علمية بقسنطينة وهي أسرة ابن آفوناس، حيث أضاف الوزن الثروة المادية إلى جانب ما يملكه من العلم والتصوف. (3)

وكرثت في قسنطينة ظاهرة تصاهر العائلات المعروفة بالوجاهة وهي شكل من أشكال علاقة الصداقة بين البيوتات، ومن الأمثلة المصاهرة نجد عائلة الفكون وابن باديس وابن نعمون وابن المسيح كانت مثلا لعلاقة المصاهرة بين البيوتات.

وتجد عائلة الفكون صاهرت أسر علمية ودينية بارزة، ومن ذلك مصاهرة "مزوار الشرفاء الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الشريف الحسني"، وهو ج الشيخ عبد الكريم الفكون

¹ - الفكون، المصدر نفسه، ص 82

² - المصدر نفسه، ص 212

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ص 382.

الحفيد لأمه، وقد أشار إليه عدة مرات في منشور الهداية كقوله: " وجدني للأُم مزوار الشرفا إذ ذلك" وكان جده ممن تصدروا الإفتاء في عصره (1)

وصاهرت عائلة الفكون عائلات علمية أخرى، كعائلة ابن الغربي، حيث كان عبد الكريم الفكون متزوجا من ابنت الشيخ أبو العباس أحمد المدعو أحميدة بن حسن الغربي وذلك من خلال قوله في منشور الهداية " صاهرني بابنته وبقيت عندي ما يقرب الثلاث سنين، إلى أن وقع أمور لا يمكن إبقاؤها مع ذلك (2)

كما صاهرت عائلة الفكون أسرة علمية معروفة وهي عائلة ابن نعمون حيث كان أبو عبد الله ابن نعمون هو ابن أخت عبد الكريم الفكون الجد (3)

ومن الأسر العلمية المعروفة بالوجاهة في قسنطينة أسرة ابن باديس، فقد صاهرت مزوار الشرفا، وهو جد عبد الكريم الفكون الحفيد لأمه، بحيث كان ابن أبو العباس حميدة ابن باديس متزوجا من خالة عبد الكريم الفكون الحفيد، والنث كما ورد في منشور الهداية: "... يموت زوج ابنه، وكانت أخت والدتي، وتركها وأخوتها جدي إلى نظري ولم تنزل والدتهم كنفي أدب عليها بما أقدر عليه، فصاهرته الأم بالابنة المذكورة ..." (4)

¹ - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، المصدر السابق، ص68.

² - الفكون، المصدر نفسه، ص76.

³ - المصدر نفسه، ص82.

⁴ - المصدر نفسه، ص212.

وتعد أسرة ابن الكماد هي الأخرى من الأسر العلمية العريقة بقسنطينة، ومن أمثلة مصاهرتها نذكر مصاهرة الشيخ عمر بن محمد الكماد المعروف بالوزان لأسرة غنية بقسنطينة وهي أسرة ابن آفوناس، حيث أضاف الوزان الثروة المادية إلى جانب ما يملكه من العلم والتصوف (1)

وكان ابن آفوناس على ما يذكر الفكون، شيخا صالحا عرفت الولاية والعلم وأشتهر بالمال متى أصبحت له وجاهة عند الأمراء، كما له مدرسة خاصة. (2)

كما تصاهرت أسرة ابن نعمون وأسرة ابن المسيح، ونجد ذلك في " في منشور الهداية": "وتولى (المقصود محمد بن نعمون) خطة الفرائض ومفصلات التركات والاشراف على صاحب المواريث بعد موت صهره، أبي محمد عبد اللطيف المسيح" (3)

2) التنافس بين البيوتات العلمية:

إن التنافس بين أصحاب المهنة الواحدة أمر طبيعي، ونكاد نقول أمر ضروري، ولكن هناك فرق بين التنافس الخلاق والتنافس الهدام، وقد كان التنافس بين علماء الجزائر خلال العهد العثماني في أغلبية من النوع الثاني.

● **أسباب التنافس بين العلماء ونتائجه:** كان مجال عمل العلماء محدودا جدا في وظائف شملت الإفتاء والقضاء والخطابة والإمامة والتعليم، وبدلا من أن يبحث العلماء عن مجالات أخرى للعمل ويتفوقا على بعضهم البعض في إتقان المهنة والتقدم فيها دخلوا في حرب فيما بينهم للظفر بما كان موجودا فقط، وكان لهذه الحرب الداخلية ضحايا بينهم، وكان سلاحهم فيها ليس

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ص382.

² - الفكون، المصدر السابق، ص38.

³ - المصدر نفسه، ص81.

العلم والأخلاق والكفاءة، ولكن الجهل والضعف، ولهذا شاع بينهم نتيجة ذلك السجن والتغريم والعزل وحتى الإعدام ومصادرة الأموال، وكل ذلك من أجل وظيفة.

وظهر التنافس في شكلين، الفردي والعائلي، والتنافس الأول أقل ضررا من الثاني لأنه كان ينتهي بانتهاء المتنافسين بالعزل أو الموت، أما التنافس العائلي فهو طويل المدى وقد يستغرق أجيالا وقد يؤدي إلى التناحر الشديد. (1)

وقد ذكرنا في مواضع سابقة " أن من النتائج الإيجابية للتنافس بين الأسر العلمية، هو إقبال تلك البيوتات لخدمة العلم وإنشاء الزوايا والمدارس، وبذلك ساهمت بالجزء الأكبر في تنشيط الحياة الثقافية بالجزائر آنذاك، أما النتائج السلبية للتنافس فهي كثيرة، منها أن التنافس كان سببا في إضعاف الدور السياسي للعلماء، لأن الباشوات والبايات كانوا يضربون هذا بذلك، ويغلبون فريتها على فريق، وعائلة على عائلة (2)

وكانت نتائج النتائج خطيرة منها منح الرشوة للحصول على المناصب، إذ ذكر الفكون بأن أبو العباس أحمد المدعو أحميدة بن حسن الغربي كان يخدم الولاية ويعطيهم الرشا، لذلك ولوه نيابة القضاء، وكذلك محمد المسيح الذي أعطى مالا لقضاة العجم حتى يولوه على خطة نيابة القضاء (3).

وقد كانت المناصب هي السبب الرئيسي للتنافس بين العلماء، ومن ذلك التنافس حول وظيفة الفتوى التي تعد من أهم الوظائف التي سعى إليها حمل علماء تلك الفترة.

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 402.

² - فوزية لزغم، المرجع نفسه، ص 568.

³ - الفكون، المصدر السابق، ص 75، 90.

ومن أمثلة ذلك صراع أبو عبد الله بن نعمون من أجل هذا المنصب، فقد ولي الفتوى وعزل منها عدة مرات، وفي بعض الفترات تولّاها أولاده محمد ومحمد التومي، وعاد إليها من جديد بعد موت أبي العباس أحمد الغربي، وشاركه فيها من غير ترأس أبو العباس أحمد بن باديس، فسعى ابن نعمون وجماعته بآبن باديس إلى باشوات الجزائر "وكتبوا سجلات ووصفوه بأمور لا يحل الوصف بها ولا الخوض فيها" إلى أن أجبروه على التوجه إلى العاصمة شخصيا حيث غرّمه الباشا وسجنه (1)

ولكن هذه الحادثة التي يبدو أن النصر كان فيها لابن نعمون وجماعته قد انقلب ضده ذلك لأن الصراع انتهى بعودة ابن باديس إلى الإفتاء واستقلاله به وعزل ابن نعمون عنه وعلى إثر ذلك اتخذ العثمانيون في قسنطينة قرارا وهو ألا مفتي إلا ابن باديس (2)

لقد كان هناك تنافس بين العائلات العلمية في قسنطينة من أجل المجد والجاه والثروة، ولكن هذا التنافس لم يبلغ حد التناحر أو التجارب (3)

ومن الأمثلة عن التنافس العائلي أيضا، فقد كانت أسرة ابن عبد المؤمن تنافس أسرة الفكون في قسنطينة، وقد انتهى الأمر بتغليب العثمانيين الثانية على الأولى، ومنحها "مشيخة الإسلام"، وبذلك أصبح الفكون هو شيخ المدينة وأمير ركب الحج، وأصبح مقربا لدى العثمانيين (4)

¹ - الفكون المصدر السابق، ص 83-84.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 403

³ - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السكزكابق، ص 22

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 403.

يعد بيت الفكون من أشهر البيوتات العلمية بقسنطينة خلال العهد العثماني، ورغم المكانة التي تمتع بها هذا البيت إلا أنه لم يسلم من المنافسة غير الشريفة، ولهذا اتذر الفكون من بعض طبائع الحضر من تفاهم مع بعضهم، رغم أنه من بيت حضري (1)

فنظم قصيدة في شأن حضر وأعيان قسنطينة، جاء فيها:

ألا فاحذر أناسا قد تبرأ إله العرش منهم والملائكة

... هم القوم الأراذل قد تسموا بجنس في الخليقة لا يشارك

وقالوا نحن احضار بدار نعم صدقوا ولكن في المهالك

... وقل ربي عليك بهم وخذوهم ومثواهم يكون بدرا مالك

وخذ ممن أذى وتعدى حقا وأحل فيه بلوى من سمائك

ومن كل المكاره لا تصنه وفي العقبي أذقه من وبالك. (2)

3) مكانة البيوتات العلمية ودورها الاجتماعي:

تمتعت البيوتات العلمية والدينية بمكانة رفيعة في المجتمع، وهذا ما أهلها للقيام بأدوار بارزة في مختلف الميادين، ولكن بيوتات المرابطين وأصحاب الزوايا الصوفية كانت تتمتع بنفوذ كبير غي الأوساط الشعبية، أكثر من البيوتات العلمية التي لا تتمتع بنفوذ روحي.

¹ - فوزية لزعم، المرجع السابق، ص579.

² - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، المرجع السابق ص222-224.

ونجد بعض أعيان البيوتات العلمية تمكنت من تحقيق مكانة روحية كبيرة في المجتمع نظرا لما اكتسبه من ثروة وجاه، وبخدمتها للدين من خلال تولي أبنائها للمناصب الدينية العليا كالفتوى والخطابة والإمامة في الجوامع الكبرى⁽¹⁾

ومثال لذلك بين الفكون، الذي هو عربي النسب لكنه لا ينتسب إلى الإشراف، وهم لم يسخروا كل امكانياتهم المادية والمعنوية لخدمة التصوف، إذ اشتهر بالعلم أكثر من التصوف، وبما أنهم اكتسبوا الثروة والجاه، وأضافوا له النفوذ الروحي لخدمة المجتمع والعلم، لأن تدريس العلم الشرعي في حد ذاته خدمة للدين.

فالبيوتات العلمية لا تكتسب مكانة روحية إلا إذ اكتسب جهاها عريضا واكتسب الثروة واشتهرت بخدمة الدين، إما البيوتات المرابطين فبإمكانها أن تحقق النفوذ الروحي وتشتهر حتى إذ لم تتجب علماء كبار.

وقد كانت أوامر البيوتات مطاعه، فكان الناس يلجؤون إليهم لحل النزاعات بين الأفراد وإنهاء الفتن بين القبائل والحصول على الرأي السديد⁽²⁾

ومن الأدوار الأساسية التي كان العلماء يقومون بها هي القيام بواجبهم التعليمي المتمثل في حلقات الدروس التي تتطرق لمختلف العلوم سواء لطلبة العلم وحتى العامة الناس في المساجد، كما كانوا يحفزون على الجهاد في سبيل الله، ويشاركون في تنشيط الرباطات وكانت

¹ - بوكريمي نعيمة، المرجع السابق، ص 85.

² - فوزية لزعم، المرجع السابق، ص 581-582.

جل الزوايا التي تمتلكها البيوتات العلمية تؤدي اجتماعيا إلى جانب دورها الثقافي، ومن ذلك استقبالها للضيوف من الفقراء والغرباء، والمصالحة بين المتخلصين وغيرها (1)

ومن أبرز الأدوار التي قام بها العلماء هو محاربة البدع والخرافات، التي أنتشرت خلال العهد العثماني، ومن العلماء الذين قاوموها الشيخ عبد الكريم الفكون خلال العهد القرن 17م الذي سخر قلمه لمحاربة المبتدعة والضالين والآفات الاجتماعية، (2) وذلك من خلال ما أشار إليه في مقدمة كتابه "منشور الهداية" قال : فلما رأيت الزمان بأهله تعثر ... وسحائب الجهل قد أظلت، وأسواق العلم قد تكدست، فصار الجاهل رئيسا، والعالم في منزلة" يدعى من أجلاها خسيسا، وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة... فاعتبروا وما نظروا، واستهونوا وما استبصروا ... كل ذلك والقلب مني يتقطع غيره على حزب الله العلماء أن ينسب جماعة الجهلة المعاندين الضالين والمظلمين ... (3)

وفي كتاب آخر لعبد الكريم الفكون "محدد السنان" ذكر فيه أحوال أعيان قسنطينة، غاضبا على بعض طبائعهم السلبية في نظري، وعلى ما جبلوا عليه من منابذة العلم وأهله، واتكالهم على شرف آبائهم وعلو مرتبتهم وماهم فيه من الرياسة التي شرفوا بها بين إخوانهم، وماهم عليه من الحسد والبغضاء وهتكك أعراض المسلمين. (4)

1 - نعيمة بوكريمي، المرجع السابق، ص 86.

2 - فوزية لزغم، المرجع نفسه، ص 583.

3 - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 31-32.

4 - أبو القايم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 25-216.

4) امتيازات البيوتات العلمية:

سعت السلطة العثمانية في الجزائر، من الوهلة الأولى إلى التقرب من الفئات النافذة في المجتمع، وفي مقدمتها البيوتات والأسر العلمية والدينية لحاجتها لأصحاب النفوذ، وذلك تحسبا للظروف التي تواجه فيه السلطة تمردات وثورات، فيقف أولئك العلماء وأصحاب النفوذ الروحي عادة إلى جانب السلطة حماية لها وحماية لمصالحهم في الوقت نفسه.

وقد اعتمدت السلطة العثمانية بالجزائر على وسائل مختلفة لكسب ولاء البيوتات العلمية والدينية، وأهم تلك الوسائل هي منح امتيازات للبيوتات، وهذه الامتيازات نوعين: امتيازات مادية وأخرى معنوية.

أ- الإمتيازات المادية: تمثلت في

- **منح الإقطاعات:** في إطار الامتيازات التي منحت للعلماء، وبالخصوص المرابطين، كان الحكام يمنحون أحيانا أراضي بدل الأجور، والترضيات⁽¹⁾، وجعلوا من هذه الفئة ممثلين للبايلك لدى الأهالي بالمناطق الجبلية، حيث يكون تمركزها بين القبائل الموالية والمستقلة، فتمنح لها امتيازات على أي مكان تضمن فيه الموالاة للسلطة العثمانية.

¹ - ناصر الدين عيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر،

وقد كانت هذه الإقطاعات تمنح بواسطة فرمانات يصدرها الدايات أو حتى البايات، وتجدد باستمرار عن طريق فرمانات أيضا ⁽¹⁾ وقد يعتبر هذا الإقطاع بمثابة حبوس للأسرة، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الامتياز لم يكن يمنح إلا للبيوتات الأكثر نفوذا في المنطقة. ⁽²⁾

• **حق جباية الضرائب:** استعملت السلطة العلماء والمرابطين كوسطاء لجمع الضرائب من المناطق الغير خاضعة بصفة مطلقة للسلطة، ومثال ذلك اكتساب أسرة الفكون الحق في جباية الضرائب من سوق الخضر بقسنطينة، وقد كانت البيوتات التي تكلف بجمع الضرائب تستفيد ماديا منها. ⁽³⁾

• **الإعفاء من الضرائب:** فرضت الدولة الضرائب والغرامات على مختلف فئات المجتمع، واعفت منها كبار العلماء والمرابطين ورجال الدين المنحدرين في الغالب من بيوتات علمية ودينية، وكان إجراء الإعفاء من الضرائب، يتم إما يدافع السلم في المنطقة أو بدافع ضمان السير الحسن لعملية جباية الضرائب وتسليمها أو لضمان ولاء السكان، ⁽⁴⁾ ولهذا فإن ما حصلت عليه عائلة الفكون خاصة ببايالك الشرق ليس استثناء، بل هو استراتيجية من سياسة الأتراك مع رجال الدين، ⁽⁵⁾ وللإشارة فإن عملية الإعفاء من دفع الضرائب أحيانا تكون كلية أو جزئية.

¹ - رشيدة شجري، المرجع السابق، ص 118.

² - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 625.

³ - فوزية لزغم، المرجع نفسه، ص 626.

⁴ - رشيدة شجري، المرجع نفسه ص 119.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، المرجع السابق، ص 79.

ب- الامتيازات المعنوية:

تجلت أهم الامتيازات المعنوية في الامتيازات التي حصلت عليها عائلة الفكون، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- منح لقب شيخ الإسلام لعبد الكريم الفكون الحفيد، وظل هذا اللقب متوارثا في كبار علماء العائلة.

- جميع من يلتجأ إلى عائلة الفكون، سواء في المنزل أو غيره، ولو خارج المدينة، مصون لا يتعرض لأي عقوبة ولو ارتكب أكبر جريمة.

- كل من مد شيخ الإسلام يده لحمايته لا يجوز التعرض له. (1)

وبقيت عائلة الفكون تتمتع بالامتياز الأخير إلى أواخر العهد العثماني، حيث ذكر في الظهير موجه من أحمد باي إلى الشيخ محمد الفكون في مطلع عام 1242هـ/1826م: "مع الإيضاء عليه بالحرمة والاحترام والمبرة والإكرام، وهي منجا للهاربين ومنفذ للخائفين، ومأمنا للمستأمنين، ومأوى للفقراء والمساكين غريبا وابن سبيل، وأن جميع الهاربين لها والحالين بساحتها لهم الأمان والعافية والإحسان، ولو أذنب الكبير من الذنب لا يخرج أحد منها ويهتك بحرمتها كما جرت بذلك العادة القديمة " (2)

¹- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص521.

²- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص631.

ج- الوضع المادي للبيوتات العلمية:

يقول ابن خلدون بأن: " القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والآذان ونحو ذلك لا يعظم ثروتهم في الغالب، ⁽¹⁾ وفئة أصحاب القلم لم تكن على العموم حائزة على ثروة مادية كبيرة، ومستوى الثروة العام لدى أصحاب القلم يضيفهم في الفئة الدنيا من الشرائح المتوسطة.

والقائمين على الدين لا تعظم ثروتهم، لكن علاقتهم مع الحكام والجاه والتجارة والمناصب العليا تعلي ثروتهم، كما أن كبار مؤسسي بيوت العلم في الجزائر معوا ثروات طائلة ⁽²⁾ وكانت بعض أسر قسنطينة تتميز بالثروات الغزيرة مثل أسرة الفكون، وأسرة ابن باديس كانت من العائلات الغنية.

وعائلة الفكون من العائلات الغنية ولم يكن هذى الغنى يعود إلى العهد العثماني بل إنه يعود إلى عهود سابقة غير محددة، وزاد عناها وبلغت أوج قوتها المادية والمعنوية في عهد عبد الكريم الفكون الحفيد، إذ أصبحت تتمتع بأموال طائلة وأملاك واسعة ومداخل رسمية ودينية، كما أصبحت تتمتع بنفوذ روحي بلغ درجة قصوى، ويتولى الفكون لإمارة ركب الحج، وهذه الأخيرة التي جلبت إليه أموالا طائلة في بلاده بالإضافة إلى الجاه العريضة ⁽³⁾.

كما تولى الفكون رعاية أوقاف الجامع الأعظم، وهي مهمة كبيرة ودقيقة فمتوليها يتمتع بثروة كبيرة ويحصل على الجاه والنفوذ، وللجامع نفسه موظفين كثيرين وعلى راعي الأوقاف أن

¹ - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 374.

² - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 644.

³ - أبو القاسم سعد الله، مقدمة تحقيقه لمنشور الهداية لعبد الكريم الفكون، ص 7، 12.

يضبطهم ويصنفهم ويمنحهم ما يستحقون من مال، وإذا نامت عينه أو غفل قلبه عنهم استغلوا وشنعوا ونهبوا ولم يفرقوا بين الحلال والحرام، ولذلك كان على الفكون أن يكون يقظا دائما حذرا أبدا، رغم أن الأوامر الصادرة إليه من باشا الجزائر تغطية ثقة مطلقة في التصرف ولا يعترض أحد على حكمه، لا موظفو الجامع، ولا قضاة ولا السلطة المحلية⁽¹⁾

وكان للجامع الأعظم أملاك كثيرة، وعقارات داخل المدينة وخارجها، وكانت الزكاة تدفع إلى الجامع أيضا بم في ذلك زكاة الوالي نفسه، وتنص النصوص على أن المتولي على هذه الأملاك (أي الفكون) يتصرف فيها بما يراه مناسبا، فينفق منها على الجامع نفسه من بناء ونظافة ودفع أجور القائمين عليه ... إلخ وإذا بقية فهي له يتصرف فيها كما يشاء. ⁽²⁾

¹ - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، المرجع السابق، ص72.

² - المرجع نفسه، ص73.

خاتمة

خاتمة

أقدم في الختام هذا العمل الذي تناولت فيه موضوع "البيوتات العلمية بقسنطينة خلال العهد العثماني" أهم الاستنتاجات المتوصل إليها بعد البحث والتقصي، والتي أحصرها في النقاط الآتية:

- تعد فترة الدراسة من بين أزهى الفترات في تاريخ المدينة، فرغم بعض الاضطرابات السياسية إلا أن الحياة الثقافية كانت مزدهرة، فشهدت بذلك مدينة قسنطينة نهضة علمية وفكرية، وكان من مظاهر ذلك انتشار المراكز العلمية والتعليمية في المدينة من مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب ومكتبات، فقد تداول الطلبة على هذه المعاهد ونبغ الكثير منهم، وزار المنطقة علماء من مختلف الحواضر فاستفادوا بدورهم، هذا ما نتج عنه تبادل المعارف والأفكار بين الحواضر، فكثر التأليف والإنتاج العلمي.

- إن من أبرز مظاهر هذا العهد تكوين عائلات مشهورة من العلماء في المدن الثقافية الكبرى، ساهمت في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية بها، منها مدينة قسنطينة التي أنجبت بيوتا علمية اشتهرت بالعلم والفقه، وارتقت بالمدينة إلى مضاف المدن العلمية المتحضرة، وتمتعت بالجاه والنفوذ والثروة، إضافة إلى الأسر العلمية التي أنجبت هي الأخرى عددا من العلماء، إلا أنها لم تكتسب الجاه والنفوذ كالبيوتات.

- لقد ظل بيت الفكون محافظا على مكانته كأهم البيوتات في مدينة قسنطينة، وتميز بالجاه والمجد والعلم، ومما ساهم في بروز بيت الفكون هو تصدي عدد من علماءه للتدريس والفتوى، وقد حصرت السلطة الحاكمة في هذا البيت الخطابة بالجامع الأعظم، كما أوكلت له إمارة ركب الحج الجزائري منذ عهد الشيخ عبد الكريم الفكون الحفيد، الذي عد من أبرز علماء هذا البيت، وما يلاحظ على هذا البيت هو حصوله على العديد من الامتيازات القضائية والسياسية والدينية في السلطة العثمانية، هذا ما يدل على ارتباطه بالسلطة.

-لقد لعب البيت القنفذي هو الآخر دورا علميا وسياسيا واجتماعيا كبيرا خلال الفترة العثمانية، فتوارث هذا البيت واستحوذ على المناصب السامية كالإمامة والخطابة، إضافة إلى القضاء والإفتاء.

-إن من بين البيوتات التي اشتهرت بمكانتها العالية بمدينة قسنطينة بيت ابن باديس، الذي أنجب هو الآخر علماء حملوا راية العلم بالمدينة، وساهموا في تنشيط الحركة العلمية، وتصدروا لتولي الوظائف الدينية والسياسية.

-لقد وجدت في المدينة بيوتات أخرى لكنها أقل شأنًا من البيوتات التي ذكرناها، ومنها، بيت الكماد، بيت المسبح، بيت ابن عبد المؤمن، وبيت ابن نعمون، بيت العطار، بيت ابن جلول، فلعبوا دورا مهما في تفعيل الحركة العلمية واثرائها، كما كان لهم مكانة هامة، وبالتالي فقد وجد في مدينة قسنطينة العديد من العلماء والفقهاء الذين ينتمون إلى أسر وبيوتات متفرقة، حركوا ونشطوا ثقافة المدينة، وتواصلوا مع السلطة من خلال توليهم الوظائف.

-إن البيوتات والأسر العلمية على اختلاف أصولها، ساهمت في دفع الحركة الثقافية إلى الأمام من خلال تصدي أبنائها للتدريس والتأليف، وأبرز أدوارها في هذا المجال هو تأسيسهم للمدارس والزوايا، التي أخرجت أجيال من المتعلمين ونشرت العلم، وحرصت على تعليم أبنائها في مختلف العلوم، ومن ثم حرصت على توريث أبنائها للوظائف العلمية والدينية العليا، ولا ننسى مصاهرتها للبيوتات والأسر المتهورة بالعلم والصلاح وذلك للحفاظ على مكانتها الاجتماعية، كما أن العلاقة الحينة مع السلطة الحاكمة تكتسب البيوتات امتيازات كبيرة، وفي المقابل إن الجاه والنفوذ الذي تتمتع به البيوتات يجعل السلطة تقترب منها.

-لقد كان لبيوتات العلماء دور كبير وهام في الحياة الثقافية والعلمية وحتى الدينية، بمدينة قسنطينة بصفة خاصة وللجزائر بصفة عامة نظرا لإنتاجهم الهام، ومكانتهم الاجتماعية والسياسة، وهو ما حافظ على مكانة قسنطينة الثقافية العريقة منذ ما قبل العهد العثماني، وضمن استمرارية انتقال المعارف والخبرات جيلا بعد جيل.

قائمة المصادر

والمراجع

أولا : القرآن الكريم .

1- سورة الأحزاب ، الآية 33.

ثانيا : المصادر.

- 1 - الأفراني محمد بن الحاج الصغير ، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تق وتح، عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، 2004.
- 2- الإدريسي أبو عبد الله الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- 3- بربروس خير الدين: مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- 4- البكري أبي عبد الله بن عبد العزيز ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تح: جمال طلبية، ج2، دار الكتب العلمية، بنان، 2003.
- 5- توران ايفون ، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين(1830-1880م)، تر: محمد عبد الكريم اوزغلة، دار القصة، الجزائر، 2005.
- 6- الحفناوي أبو القاسم محمد ، تعريف الخلف برجال السلف، بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.
- 7- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي ، صورة الأرض، مكنية الحياة، بيروت، 1996.
- 8- خوجة حمدان بن عثمان ، المرأة، تق وتح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005.
- 9- ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، (دم)، دار الفكر، لبنان، 2000.
- 10- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، 1998.
- 11- الزهار أحمد الشريف: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

- 12- ابن خلدون عبد الرحمان أبو زيد ، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، ج3، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1957.
- 13- سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياح البحر، تع: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.
- 14- شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تع وتق: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 15- بن شغيب محمد المهدي ، أم الحواضر في الماضي والحاضر، ط1 ، مطبعة البعث، الجزائر، 1980.
- 16- العبدري محمد بن محمد بن علي ، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، مؤسسة يوتة للبحث والدراسات، الجزائر 2007.
- 17- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد ، الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق، بيروت، 1979.
- 18- بن العنتري محمد الصالح ، فريدة منسوبة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر وتح: يحيى بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 19- الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1987.
- 20- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد الخطيب ، أنس الفقير وعز الحقير، تص: محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، 1965.
- 21- (_____)، الوفيات، تح وتبع، عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983.
- 22- (_____)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

- 23- القادري محمد بن الطيب ، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، ج3، مكتبة الطالب، الرباط.
- 24- بن عبد القادر مسلم: أنيس الغربي والمسافر، تح: رابح بونار: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، الجزائر، 1974.
- 25- القلقشندي أبي العباس أحمد ، نهائية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980.
- 26- المقرئ أبي العباس أحمد ، رحلة المقرئ إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمر، دط، مكتبة الرشاد، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر، 2004.
- 27- المزاري بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1990.
- 28- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر، بيروت، 1909.
- 29- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر، بيروت، 1909.
- 30- بن ميمون الجزائري محمد ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.
- 31- وولف-ب-جون، الجزائر وأوربا (1855-1500م)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- 32- الوزان حسن بن محمد الفاسي ، وصف أفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

ثالثا: المراجع.

1/ الكتب باللغة العربية:

- 1- بورويبة رشيد ، قسنطينة سلسلة الفن والثقافة، وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر 1978.
- 2- بوعزيز يحيى ، المساجد العتيقة بالغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 3- بوعزيز يحيى ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 4- بوعزيز يحيى ، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004.
- 5- بونابي الطاهر ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين 12 و 13 الميلاديين، دار الهدى، الجزائر، 2004.
- 6- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965.
- 7- الخلاصي علي، قصبة مدينة الجزائر ج1، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.
- 8- دبوز محمد علي: المغرب الكبير، ج2، دط، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010.
- 9- دودو أبو العيد ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
- 10- بن الذيب عيسى وآخرون، المراكز والحوضر الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 11- الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- 12- زميرلين نصيرة ، التعليم الاسلامي في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي (1830-1963م)، الدار الخلدونية، الجزائر، 2013.
- 13- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار البصائر، 2007.
- 14- (_____)، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1500)، ج1، ج2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998.
- 15- (_____)، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلف، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1986.

- 16- سعيدوني ناصر الدين ، الشرق الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2013.
- 17- سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط3، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- 18- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 19- شنييتي محمد البشير ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 20- طمار محمد ، الروابط الثقافية في الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1938.
- 21- عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- 22- عطاء الله الجمل شوقي: المغرب العربي في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977.
- 23- عمورة عمار ، الموجز في تاريخ الجزائر: دط، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- 24- فيلاي عبد العزيز، لعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1984.
- 25- القاسمي عبد المنعم، أعلام التصوف في الجزائر منذ البداية إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005.
- 26- قشي فاطمة الزهراء ، سجل صالح باي للأوقاف (1771-1792م)، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2009.
- 26- قشي فاطمة الزهراء ، نوازل الفكون وسجلات العدول، من التراث القسنطيني للمخطوط، معرض في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، 2015.
- 27- ابن كثير عماد الدين أبي الفداء ، مختصر تفسير ابن كثير، تح ، محمد علي الصابوني، مجلد2، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981، "تفسير سورة يوسف".

- 28- لزغم فوزية ، الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1830-1518)، دار بهاء الدين ، الجزائر .
- 29- محمد عثمان، قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 2013.
- 30- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، دس.
- 31- المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.
- 32- مريوش أحمد وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، (دس).

2/ الكتب باللغة الأجنبية:

1- Mercier Ernest, Histoire de Constantine, imprimeur éditeur, constantine, 1903.

3/ الرسائل الجامعية :

- 1- بن بلة خيرة ، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007.
- 2- خليل كمال ، المدارس الشرعية الثلاثة في الجزائر التأسيس والتطور (1850-1959م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.
- 3- بن خلوة حسين، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة الساندية، وهران، 2008-2009.
- 4- سعودي يمينة ، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال العثمانية، بحث مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006م.
- 5- شكري رشيدة ، العلماء وعلاقتهم بالسلطة العثمانية فترة الدايات (1830-1671م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006.
- 6- بن عمر علال ، الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة (من القرن 7-10هـ/13-16م)، رسالة لنيل شهادة ماجستير، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2011.

قائمة المصادر والمراجع

7- قويسم محمد ،مدينة قسنطينة ما بين القرنين(16-13م)، اطروحة مقدمة لنيل درجة دكتورا، جامعة الجزائر 2، 2014-2015.

8- بولحبال رياض ، أخبار بلدة قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010.

9- لزغم فوزية ، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.

4/المجلات والدوريات:

1- بردي صليحة ، الممارسات التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني، مجلة الذاكرة، ع11، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي للجزائر، كلية الآداب اللغات، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، جوان 2018.

2- بوكريمي نعيمة ، البيوتات العلمية بمدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي واسهامها الثقافي، مجلة عصور الجديدة، ع 18، جامعة وهران، الجزائر، أوت 2015.

3- بوشريط أمحمد ، ابن الفكون و إسهاماته في التأليف"منشور الهداية" أنموذجا، مجلة العصور الجديدة، ع18، جامعة وهران، الجزائر، 2015.

4- بورملة خديجة ، قسنطينة في جغرافية ورحلة حسن الوزان، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران، ع18، الجزائر.

5- بوهند خالد ، الإمام بن باديس ومواقفه في الاندماج، دورية كان التاريخية، ع19، دار ناشري، الكويت، مارس 2013.

6- تيراري مختارية ، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية التربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، مركز البحث الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع56-57، 2001.

7- عبيد مصطفى ، القضاء بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور جديدة، مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر ع 11-12، جامعة وهران، الجزائر، فيفري 2014

8- غانم محمد الصغير ، قسنطينة عبر تاريخها القديم، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري، ع12، قسنطينة، 1999.

- 9- فيلاي عبد العزيز ،أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي(ق7-10هـ / 13-16م)، مجلة جامعة قسنطينة، علوم انسانية، العدد01، دار نوميديا، قسنطينة، جوان 1990.
- 10- فيلاي عبد العزيز ، جوانب من الحياة الثقافية وفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، العدد 10، جامعة قسنطينة، الجزائر، أبريل 1988.
- 11- فيلاي عبد العزيز، ابن قنفذ مؤرخا لأسرته وبلدته، مجلة سيرتا، ع11، جامعة متتوري، قسنطينة، ماي 1998.
- 12- قشي فاطمة الزهراء ، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، مركز البحث و الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد 09-13، 2013.
- 13- محمد سيد، أشرف صالح المراكز الثقافية في دار السلطان(الجزائر) أواخر العهد التركي، مجلة أماراباك، مج4، ع7، 2013.
- 14- المشهداني مؤيد محمود حمد ، سلمان رشيد رمضان: أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي(1518-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية، مج5، ع16، نيسان 2013، جامعة تشرت.
- 5/المعاجم والقواميس:**
- 1- أبي الفداء عماد الدين إسماعيل ، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، 1830.
- 2- الفيروز أبادي مجد الدين بن يعقوب ، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، (دط)، دار الحديث القاهرة، 2008، باب "بيت".
- 3- ابن منظور جمال الدين ،لسان العرب، تح: عبد الله الكبير، ج1، (دط)، دار المعارف، القاهرة، (دس)، مادة "بيت".
- 4- ابن منظور جمال الدين ،لسان العرب، تح: عبد الله الكبير، ج1، (دط)، دار المعارف، القاهرة، (دس)، مادة "بيت".
- 5- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980.
- 6- ياقوت الحموي أبي عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، 1977.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

	الشكر و التقدير
أ - و	مقدمة
	الفصل الأول: الحياة العلمية بقسنطينة خلال العهد العثماني
	أولاً: مصطلح البيوتات دلالاته ونشأته:
8	1- مفهوم البيوتات.
9	2- ظهور البيوتات في مدينة قسنطينة.
	ثانياً: مظاهر الحياة العلمية والفكرية في قسنطينة.
12	1- المؤسسات التعليمية.
24	2- نظام التعليم.
27	3- وظائف العلماء.
31	4- مكانة العلماء.
	الفصل الثاني: البيوتات العلمية الكبرى في قسنطينة خلال العهد العثماني.
35	أولاً: بيت الفكون.
46	ثانياً: بيت ابن باديس.
51	ثالثاً: بيت ابن القنفذ.
57	رابعاً: بيت الكماد.
	الفصل الثالث: بيوتات علمية متفرقة بمدينة قسنطينة
64	أولاً: بيت ابن نعمون.

68	ثانيا: بيت المسبح.
71	ثالثا: بيت العطار.
73	رابعا: بيت ابن جلول.
74	خامسا: بيت ابن عبد المؤمن
	الفصل الرابع: المكانة الاجتماعية للبيوتات العلمية خلال العهد العثماني
	أولا: علاقة العلماء والبيوتات العلمية بالسلطة الحاكمة
78	1- أسباب التقارب بين العلماء والعثمانيين
80	2- وسائل السلطة في التقرب من البيوتات العلمية
81	3- أسباب القطيعة بين السلطات والعلماء في أواخر العهد العثماني
84	4- علاقة السلطة بالبيوتات العلمية
	ثانيا: علاقة البيوتات العلمية ببعضها والمجتمع
86	1- علاقة الصداقة بين البيوتات العلمية
90	2- التنافس بين البيوتات العلمية
93	3- مكانة البيوتات العلمية ودورها الاجتماعي
96	4- امتيازات البيوتات العلمية
	خاتمة